أعلام المسلمين
٦

عبد الله بن عمر رضي الله عنه

الصحابي المؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم

محيي الدين مستو

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين
٦

عبد الله بن عمر رضي الله عنه

الصحابي المؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم

١١ ق هـ - ٧٣ هـ

محيي الدين مستو

دار القلم
دمشق

الطبعة الخامسة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

حقوق الطبع محفوظة

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

عبد الله بن عمر رضي الله عنه

الصَّحَابي المؤتَسِي بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

هٰــذَا الرَّجُــل

«إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر»

عبد الله بن مسعود

«ما رأيت أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها، إلا عبد الله ابن عمر»

جابر بن عبد الله

«مات ابن عمر رضي الله عنه يوم مات، وما في الأرض أحد أحب إليَّ أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منه»

سعيد بن المسيب

«أبو عبد الرحمن العدوي المدني الفقيه، أحد الأعلام في العلم والعمل، وهو من أهل بيعة الرضوان، وممن كان يصلح للخلافة فَعُيِّنَ لذلك يوم الحكمين مع وجود مثل الإمام علي، وفاتح العراق سعد، ونحوهما ـ رضي الله عنهما ـ ومناقبه جمة، أثنى عليه النبي ﷺ ووصفه بالصلاح».

الإمام الذهبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد عشت مع عمر بن الخطاب زمناً مباركاً ميموناً، وأنا أعمل في تحقيق كتاب عن سيرته[1] مع أستاذي الكريم الشيخ نايف العباس ـ حفظه الله تعالى ـ وكان اسم ابنه (عبد الله) يتردد معنا كثيراً ونحن نتابع فصول سيرة عمر العظيمة، والتي يعتزّ بها كل مسلم.

ولما ظهرت سلسلة «أعلام المسلمين»؛ رأيت أن أسهم في هذا العمل الهادف إلى الدعوة إلى الإسلام عن طريق تجلية التاريخ الإسلامي، وإظهار حياة الأبطال والعظماء والعلماء؛ الذين كانوا نماذج حية لهذا الدين في عزته وصفائه وقوته، وما زالوا كواكب نيرة في سماء هذه الأمة يستنار بنورهم ويُهتدى بهديهم. فاخترت الكتابة عن «عبد الله بن عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما.

---

(١) هو كتاب «سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لابن الجوزي».

ووضعت نصب عينيَّ وأنا أضع الخطوط العريضة لسيرة «عبد الله بن عمر»، أن أبرز شخصية «عبد الله» ذي الصحبة المبكرة، والشباب الناشىء في عبادة الله، والرجولة الصالحة، وأن أوضح مدى تأثره بنبيه سيدنا محمد ﷺ، وبأبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد وجدت وأنا أتتبع أخبار «عبد الله» أن شخصية عمر القوية العظيمة أثرت تأثيراً واضحاً في حياة ابنه الأكبر من حيث التربية والتوجيه، إلى جانب ما ورثه عبد الله من سيرة هذه الشخصية، ومحاولته دائماً التشبه بها؛ حتى قال سعيد بن المسيب:

«كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله»[١]. وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «مات ابن عمر وهو في الفضل مثل أبيه»[٢] وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «ما ناقة أضلَّت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثرها من ابن عمر لعمر بن الخطاب»[٣].

ووجدت «عبد الله» يتمتع بصفات خاصة تجعله ينفرد بها عن عمر؛ اكتسبها رضي الله عنه من صحبته لرسول الله ﷺ ومن جهاده المبكر لنصرة الإسلام، ومن ملازمته لكبار الصحابة في المدينة ومكة، ومن عمره الطويل الذي اكتسب فيه الخبرة والتجربة، ولكن شخصية أبيه المدهشة، ومدة خلافته التي امتازت بالعدل والفتوحات، حجبت الأضواء بعض الحجب عن

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).
(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧).

حياته في بعض كتب التراجم؛ قال أبو إسحاق السبيعي: «كنا نأتي ابن أبي ليلى وكانوا يجتمعون إليه فجاء أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال: أعمر كان أفضل عندكم أم ابنه؟ قالوا: بل عمر، فقال: إن عمر كان في زمان له فيه نظراء، وإن ابن عمر بقي في زمان ليس له فيه نظير»(١).

وهو رأي مبالغ فيه يغفره استحقاق ابن عمر له، أما «عمر» فلا يقارن بمثله ـ بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر ـ أحد.. وهيهات أن يكون له في كل عصور الزمان نظير(٢).

ومن خلال هذا التحليل لشخصية ابن عمر؛ بدت لي الكتابة عن سيرته شيقة للغاية، وما أجملها من رحلة مباركة، ونحن نعيش بأرواحنا وقلوبنا تلك الفترة السعيدة من عمر البشرية، ونتابع بتلهف وشوق «عبد الله بن عمر» يدرج على درب الحياة طفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً؛ حيث نور الرسالة، وهداية الوحي، وجهاد الرسول الأمين ﷺ. وحيث صدق عزيمة أبي بكر، وعدالة عمر، ورحمة عثمان، وعلم علي، وحلم معاوية ـ رضي الله عنهم ـ فقد عاش «عبد الله» في هذه الفترة الرغيدة المجيدة، وشارك فيها مشاركة جدية.

وما أحوجنا اليوم إلى القدوة بعد أن أمحلت أرضنا من الأبطال، وأصاب أمتنا العقم، فأصبحنا لا نجد بيننا أمثال أولئك

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٠).

(٢) عن كتاب «رجال حول الرسول» بتصرف يسير (١: ١٣٥).

الرجال الأفذاذ، الذين رباهم الرسول ﷺ، وخرّج منهم النخبة الصالحة والجيل المعلم.

وإن وجود الخواص يؤدي إلى صلاح الأمة أو فسادها، فيؤدي رشدهم إلى رشد الأمة بكاملها، ويؤدي ضلالهم إلى ضلالها، فمتى كانت الأمة في إقبال نبغ من بينها خواص يسيرون على الصراط السوي ويسيّرون الأمة معهم عليه، ومتى كانت الأمة في إدبار؛ ابتدأ الفساد في خاصتها الذين يتأثر بضلالهم وفساد أخلاقهم عامة الناس[١].

والإسلام يزيل السدود والعقبات من طريق أي مسلم في المجتمع؛ للوصول إلى مصاف هذه الجماعة الصالحة.

وكتابة سير الأبطال والعظماء وصور التضحية والانتصارات لا يعني أننا نؤمن بالأسطورة؛ حيث يظهر الفرد الخرافي الذي تبدو الأمة إلى جانبه هملًا، والأشخاص أصفاراً ونكرات، كما أننا لا نقبل بإهمال الفرد والحجر عليه والاهتمام فقط بالمجتمع[٢]؛ ولا نقصد من هذه الكتابة التغني والتفاخر بتلك الأمجاد، ونحن نعيش كالأقزام.

وإنما غايتنا أن تتجلى أمام أعيننا طريقة حياتهم، وكيف تأثروا بهذا الإسلام، وكيف أثر الإسلام في سلوكهم. إنهم أبطال تاريخنا، والترجمة العملية لمبادىء ديننا، وإن أمة لا تاريخ لها

(١) انظر كتاب «نحن والحضارة الغربية»، لأبي الأعلى المودودي.

(٢) انظر (الفردية والجماعية) في كتاب «منهج التربية الإسلامية» لمحمد قطب (ص ١٩٩).

ولا أمجاد ولا أبطال، لا يمكن أن يكون لها حاضر سعيد ولا مستقبل زاهر.

وقد بذلت ما أستطيعه من جهد في تقصي أخبار هذا الصحابي الجليل في كتب التراجم والحديث والتاريخ، واختيار وتنسيق ما يتلاءم مع أهداف سلسلة «أعلام المسلمين» وحجمها. واخترت الطريقة الحديثية في كتابة التاريخ والسير؛ فانتقيت الخبر القوي الصحيح وحافظت على عبارة السلف، وعزوت كل خبر إلى مصدره الذي أخذته منه.

وإن ما يبهج نفسي، ويشعرني ـ في نفس الوقت ـ بالرهبة المحفوفة بالحيطة والحذر؛ أنه لم يؤلف عن حياة «ابن عمر» كتاب مستقل قديماً أو حديثاً فيما أعلم.

ووجدت من الأفضل وأنا أعرض مراحل هذه السيرة المباركة؛ أن أتقيد بالتسلسل الزمني؛ فأتحدث أولاً عن طفولة «ابن عمر» وأذكر اسمه وكنيته ونسبه ومولده ونشأته.

ثم أرافقه في حياته مع الرسول ﷺ، ومع الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ومع أبيه عمر، وفي عهد عثمان، وفي عهد علي ابن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ وفي حكم بني أمية، ثم أتحدث عن وفاته وحليته وأسرته؛ لأفرغ إلى توضيح معالم شخصيته وفضائله.

فإلى الدعاة من شباب أمتي، وإلى علمائها العاملين من أجل إيجاد الجماعة الصالحة والنخبة الفاضلة، أقدم حياة «عبد الله بن

عمر» رضي الله عنهما؛ ليجدوا في أيامها المباركة: الجهاد والجرأة، والزهد والقوة، والعلم والعمل، والجود والعبادة، وقد تمثلت حقائق ملموسة.

والله أرجو أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ولخدمة دينه الحنيف.

محيي الدين مستو

دمشق الشام في ١ رمضان ١٣٩٣ هـ.
٢٧ أيلول ١٩٧٣ م.

مَعَالم حَيَاته

- طفولته ونشأته
- مع الرسول ﷺ
- مع الخلفاء الراشدين
- في حكم بني أمية
- وفاته
- حليته ولباسه
- أسرته

طفولتــهُ ونشــأته

- اسمه وكنيته
- نسبه
- أبوه
- أمه
- نشأته

طفولتهُ ونشأته

اسمه وكنيته

اسمه عبد الله، وهذا الاسم مشهور ومتداول في الجاهلية، وهو من أفضل الأسماء وأحبها إلى الله تعالى في الإسلام؛ فقد روى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قوله:

«إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»(١).

ولذلك كان محباً لهذا الاسم فخوراً به؛ حتى إنه كتبه على خاتمه؛ قال ابن سيرين: كان نقش خاتم عبد الله بن عمر: «عبد الله بن عمر»(٢).

وكأني به رضي الله عنه كان يعتز بعبوديته لله لا لغيره، ويفتخر ببنوته من أبيه العظيم عمر(٣).

وهو أحد العبادلة الأربعة وهم:

---

(١) رواه مسلم في أول باب من كتاب الآداب.

(٢) طبقات ابن سعد (٤: ١٧٦).

(٣) من المتفق عليه عند العلماء أنه إذا قيل: «ابن عمر» فالمقصود: «عبد الله».

عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص.

هكذا سماهم أحمد بن حنبل وسائر المحدثين وغيرهم.

قيل لأحمد: فابن مسعود؟ قال: ليس هو منهم.

قال البيهقي: لأنه تقدمت وفاته، وهؤلاء عاشوا طويلاً حتى احتيج إلى علمهم، فإذا اتفقوا على شيء قيل هذا قول العبادلة أو فعلهم[١].

وكنيته أبو عبد الرحمن، وهو مشهور بها، وكتب التراجم والحديث مجمعة على ذلك[٢]، وفي طبقات ابن سعد ـ عند ذكر أولاد عبدالله بن عمر ـ: وعبدالرحمن وبه كان يُكنى، وأمه أم علقمة بنت علقمة من بني محارب بن فهر[٣].

نسبه:

هو عبد الله بن عمر بن الخَطَّاب، بن نُفَيْل من بني عديّ ابن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النَضْر[٤].

ويجتمع هذا النسب مع نسب النبي ﷺ في كعب.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي (١ : ٢٦٧).

(٢) البداية لابن كثير (٩ : ٤) وسير أعلام النبلاء (٣ : ١٣٤). والإصابة (٢ : ٣٣٨).

(٣و٤) طبقات ابن سعد (٤ : ١٤٢).

أبوه

سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وله السفارة فيهم، يُنافر عنهم وينذر من أرادوا إنذاره.

وهو الذي كان النبي ﷺ يدعو ربه أن يعز الإسلام به، أسلم قبل الهجرة بسبع سنين[١]. وشهد الوقائع كلها.

قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٣ هـ بعهد منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع التاريخ الهجري، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبُنيتا، وأول من دَوَّن الدواوين في الإسلام لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم.

وكان يطوف في الأسواق منفرداً، ويقضي بين الناس حيث

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٠٨).

أدركه الخصوم. وفي الحديث: «اتقوا غضب عمر؛ فإن الله يغضب لغضبه»[1].

لقَّبه النبي ﷺ بالفاروق، وكناه بـأبي حفص[2]، وكان يقضي على عهد رسول الله ﷺ.

قالوا في صفته: كان أبيض عاجي اللون، طُوالاً مشرفاً على الناس، كث اللحية، أنزع (منحسر الشعر من جانبي الجبهة) يصبغ لحيته بالحناء والكتم.

قتله أبو لؤلؤة فيروز المجوسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلة بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال[3].

ولقد بقي «عبد الله» منذ نعومة أظفاره إلى أن توفاه الله بعد عمر طويل باراً بأبيه، معجباً به، متشبهاً بأقواله وأفعاله.

أمه

وأمه زينب بنت مظعون الجمحية، أخت عثمان بن مظعون، وهي أم حفصة وعبد الله وعبد الرحمن الأكبر، ذكر الزبير أنها من المهاجرات، وثبت في صحيح البخاري عن

(١) الرياض النضرة (٢ : ٩).
(٢) الحفص: الأسد.
(٣) الأعلام للزركلي بتصرف (٥: ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

عمر أنه قال في حق ولده عبد الله: هاجر به أبواه[1].

وهكذا توفر لابن عمر النسب الرفيع، فهو عدوي من قريش، وأبوه عمر أحد العشرة المبشرين بالجنة، وثـاني الخلفاء الراشدين، وأمه من المهاجرات.

ولئن قرر الإسلام المساواة، وعدم التفاضل بـالأنساب والأموال، وأن من قصَّر به عمله لم يُدرِك به نسبه؛ فإن ابنٍ عمر لم يقصر به عمله، ولم يقصر به نسبه، بل كان رجلاً صالحاً، وفي الذروة شرفاً وأرومة.

مولده

قال ابن حجر: كان مولد عبد الله بن عمر في السنة الثانية من المبعث؛ لأنه ثبت أنه كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة، وكانت بدر بعد البعثة بخمس عشرة سنة[2].

نشأته

ولد ابن عمر في مكة وفي ربوعها عاش طفولته الأولى؛ وعندما بدأ يحس ما حوله ويعقل ما يرى؛ اعتنق مع أبيه عمر الإسلام، وشارك أهله ما أصابهم من أذى المشركين؛ حتى

---

(١) الإصابة: (٤: ٣١٢) والاستيعاب (٤: ٣١٤).

(٢) فتح الباري (٨: ٩١).

أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة، فهاجر مع أبويه وعمره إحدى عشرة سنة.

وفي دار الهجرة نشأ نشأة إسلامية خالصة، وتربى في أعظم مدرسة عرفتها الدنيا، وهي مدرسة رسول الله ﷺ.

عشر سنوات ميمونة أمضاها «ابن عمر» في صحبة الرسول المربي في المدينة، وآيات القرآن تتنزل على رسول الله ﷺ لإقامة بناء المجتمع الإسلامي، وتنظيم دولة الإسلام.

ولقد شارك في نصرة الإسلام، وحارب مع الرسول ﷺ حتى نقّى الله الجزيرة العربية من الأنصاب والأوثان؛ قال ابن عمر: «قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله عز وجل من أرض العرب»[1].

وقبل أن يتزوج استفاد من أيام العزوبة، فلازم المسجد يحفظ القرآن الكريم وكلام الرسول وأفعاله وهو يبني النفوس ويصلح القلوب.

وكان يحظى باهتمام رسول الله ﷺ واهتمام أبيه عمر رضي الله عنه فتعلم من أبيه عمر خيراً كثيراً، وتعلم مع أبيه من رسول الله الخير كله، ولقد أثبتت الأيام أنه كان جديراً بهذا الاهتمام؛ فقد أصبح بطلاً مجاهداً وعابداً تقياً، وعالماً ورعاً.

(١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٤).

وأهم ما يستوقف الانسان في حياة هذا الرجل العظيم؛ أنه بقي مثابراً على مبادىء نشأته وأصول تربيته الأولى، وفياً للماضي الذي ترعرع فيه ونما ـ ترعاه رحمة رسول الله ﷺ، وحنان الأب المحب العطوف ـ متيقظاً حذراً من تقلبات الأيام ومغريات الحياة.

وسنجد الجهاد والعبادة والكرم، والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة، والتشدد في التأسي برسول الله ﷺ سماتٍ ظاهرة وبارزة في حياته حتى توفّاه الله.

مَعَ الرَّسُول ﷺ

- إسلامه
- هجرته
- صحبته
- مشاهده

مَعَ الرَّسُولِ ﷺ

إسلامه

أسلم «عبد الله» مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم[1]، ولم يُنقل إلينا كيف أسلم؛ ولكنَّ من يتتبع الروايات في سبب إسلام أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ يجد أن الله أعز به الإسلام، وكان إسلامه فتحاً ونصراً للمسلمين، وخرج من دار الأرقم بن أبي الأرقم يُعلن إسلامه ويَضْرِبُ ويُضْرَبُ، ولا شك أن عمر أصبح داعية للإسلام، وأول ما يدعو الإنسان أهله وأسرته، وكان «عبد الله» أحد أفراد هذه الأسرة السعيدة التي استجابت لهذا الدين الجديد، ورددت مع راعيها العظيم كلمات الشهادة، وأيقن «ابن عمر» وهو غلام صغير أن ما حدث لأبيه إنما هو أمر جلل؛ فخرج معه في طرقات مكة ينظر ما يُصيبه من أذى المشركين، وليحدثنا حديث المشاهد لما يقع؛ قال ابن عمر:

لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أيُّ أهل مكة أنقل

---

(١) أسد الغابة (٣: ٣٤٠) وطبقات ابن سعد (٤: ١٤٢).

للحديث؟ قالوا: جميل بن مَعْمَر الجُمَحي، فخرج عمر وخرجت وراءه، وأنا غُلَيِّمٌ أعقل كل ما رأيت، حتى أتاه، فقال: يا جميل، أشعرتَ أني قد أسلمتُ؟ فوالله ما راجعه الكلامَ حتى قام يَجرُّ رداءه، وخرج عمر يتبعه، وأنا معه، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ: يا معشر قريش، إنَّ عمر قد صبأ. قال: كذبت. ولكني أسلمتُ وشهدت أن لا إلّه إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله. وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلِحَ[1] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا[2]؛ قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ من قريش، عليه حلة حِبرةٍ وقميصٌ مُوشَّى، حتى وقف عليهم، فقال:

ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر؛ فقال: فَمَهْ؟! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه[3]. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم

---

(١) طلح: أعيى.
(٢) يريد مكة المكرمة.
(٣) كشط: رفع.

أسلمت وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك ـ أي بني ـ العاص بن وائل السهمي[1].

وأما ما روي من أن ابن عمر أسلم قبل أبيه فبعيدٌ جداً، وقد نقل ابن حجر عن البغوي قوله: أسلم «عبد الله» مع أبيه ولم يكن بلغ يومئذ[2].

وقال ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»:

أسلم عبد الله بن عمر مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم[3].

والمهم الذي نصل إليه بثقة وطمأنينة، أن عبد الله بن عمر بلغ مبلغ الرجال وهو متمكن من إسلامه وإيمانه، ومع أن الإسلام يجبُّ ما قبله فإن حياته بقيت نظيفة من عبادة غير الله، فكان من إكرام الله له أن يبدأ وعيه كغلام صغير وشمس الإسلام تسطع في مكة فتبدد ظلمات الجهل والشرك، وأن يفتح سمعه وعقله في المدينة وكلمات السماء تتردد على لسان النبي ﷺ صباح مساء.

إنه قدر خير وبركة أن يعتنق «عبد الله» الإسلام طفلاً،

---

(١) سيرة ابن هشام (١ : ٣٤٩).

(٢) الإصابة (٢ : ٣٣٨).

(٣) الاستيعاب (٣: ٩٥٠).

ويجاهد في سبيل نشره شاباً وكهلاً، وأن يبقى وفياً لمبادئه مستمسكاً بعهد رسول الله ﷺ فلم يُفتنْ بعده ولم يتغير بعد أن أصبح شيخاً مسناً.

هجرته

بقي «عبد الله» مع أهله في مكة سبع سنوات بعد اعتناقهم الإسلام، ولا شك أن هذه السنوات كانت قاسية وشاقة تحملت فيها أسرة «عمر» أذى المشركين وعنادهم، وخاصة عندما أصر عمر على أن يصيبه ما أصاب المسلمين، فذهب يعلن إسلامه ويقول: فما زلت أضرب ويضربونني حتى أعز الله الإسلام[1].

ولما أذن الرسول ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى المدينة وقال لهم: «إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»[2]؛ جعلوا يخرجون إليها أرسالاً[3]، وأحسَّتْ قريش بوادر الخطر، فجعلت تحول بينهم وبين ما يريدون، وتمنع من تستطيع أن تمنعه منهم؛ ولكنها لم تستطع أن تحبس في مكة إلا المستضعفين، والذين لم يستطيعوا أن يتسللوا خفية.

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد تحدى هذا المنع

---

(١) أسد الغابة (٤ : ٥٥).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤٦٨).

(٣) أرسالاً: جماعة في إثر جماعة.

وأعلن هجرته كما أعلن إسلامه؛ فعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: «ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً، إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإنه لما همَّ بالهجرة، تقلد سيفه وتنكب قوسه، وانتضى في يديه أسهماً، واختصر عَنَزته ـ حربة صغيرة جعلها على خاصرته ـ ومضى قِبَل الكعبة والملأ من قريش بفنائها؛ فطاف بالبيت سبعاً، ثم أتى المقام فصلى ركعتين، ثم وقف على الحِلَق[1] واحدة واحدة فقال: شاهت الوجوه! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس! من أراد أن تثكله أمه، أو يوتم ولده، أو ترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي! قال علي: فما تبعه أحدٌ، ثم مضى لوجهه»[2].

وعبد الله بن عمر هاجر مع أبيه وأمه وهو ابن إحدى عشرة سنة، فكان رفيق أبويه في هذه الرحلة المباركة، ولا شك أنه كان يشعر بالعزة والأمن وهو يغادر مكة في كنف هذا الأب القوي الذي أبى إلا أن يستعلن بهجرته.

وروى «عبد الله» طرفاً من هجرة أبيه فقال: قال عمر: اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضُبَ[3] من

(١) الحلق: مجالس القوم وحلقاتهم.

(٢) الرياض النضرة (١/ ٢٥٨).

(٣) التناضب: اسم موضع، ومن رواه بالكسر؛ فهو جمع تنضب، وهو شجر.

أضاة بني غفار[1] فوق سَرِف[2] وقلنا: أينا لم يصبح عندها حُبس فليمض صاحباه، قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحُبس عنا هشام، وفُتن فافتتن. فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء[3].

وهجرة «عبد الله» مع أبويه هو المشهور[4] في أكثر كتب التراجم والمنصوص عليه في صحيح البخاري؛ فعن نافع: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائةٍ، فقيل له: هو من المهاجرين، فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه.

ذكريات الهجرة

وبعد أن فتحت مكة ودخلها ابن عمر مع رسول الله ﷺ، وفي مواسم الحج التي تلت ذلك الفتح العظيم؛ كان إذا مرَّ بربعهم[5] وقد هاجر منه غمَّض عينيه ولم ينظر إليه ولم ينزله قط[6]؛ فعند البيهقي في الزهد: «ما ذكر ابن عمر رسول

---

(١) أضاة بني غفار: موضع على بعد عشرة أميال من مكة.

(٢) سرف: موضع على ستة أميال من مكة.

(٣) سيرة ابن هشام (١/ ٤٧٧).

(٤) نسب قريش (ص ٣٤٨) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٥) والرياض النضرة (٢: ١٠٦).

(٥) ربعهم: منزلهم.

(٦) حلية الأولياء (١: ٣٠٣).

الله ﷺ إلا بكى، ولا مرَّ على ربعهم إلا غمض عينيه»[1].

وهذا يكشف لنا عن جانب مهم من جوانب شخصية عبد الله بن عمر، فهو ذو حس مرهف وقلب رقيق سريع الانفعال، ولذلك كان يغمض عينيه عندما يرى ذلك المنزل الذي عاش فيه طفولته، ووقف يوم الهجرة ينظر إليه مودعاً بلهفة وحنان. أما بعد أن اكتسب فضل الهجرة وأجرها الكبير عند الله تعالى؛ فلا يريد أن يعيد لنفسه التوجع والأسى، والاستجابة لهذا الميل الفطري في الإنسان، وهو حبه لوطنه وتعلقه بأرضه وترابه. إن الفكرة تنتصر في عقل ابن عمر فيغمض عينيه ويأبى النظر والنزول ويتابع مسيره بثبات وإقدام؛ لقد تعلم من الإسلام أن المبادىء أغلى وأعز من طين الأرض ومتاعها، وعرف أن أجر الهجرة إلى الله هو الباقي وكل ما على الأرض زائل.

ولقد بقي رضي الله عنه وفياً لهجرته يدعو الله تعالى فيقول: «اللهم لا تجعل منيتي بمكة»[2]، ويوصي ابنه سالماً وهو على فراش الموت فيقول: «يا بني إن أنا مت فادفني

---

(١) الإصابة (٢ : ٣٤٢).

(٢) الطبقات (٤ : ١٨٥)، وقد روى الإمام أحمد عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ، كان إذا دخل مكة قال: «اللهم لا تجعل منايانا بها حتى تخرجنا منها» المسند (٢ : ١٢٥).

خارجاً من الحرم، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجراً»[1].

صحبته

اكتسب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شرف الهجرة، واكتسب شرف الصحبة، وكان من أولئك الشباب الذين انتسبوا إلى مسجد الرسول ﷺ في المدينة وهم في ربيع الشباب فتوة ونضارة، وكان رسول الله ﷺ يرعى هذا الجيل من الشباب، ويشجعهم ويعلمهم، ويخصهم بالنصائح والوصايا، ولقد قدم هذا الجيل من الجهاد والتضحيات ما تحتاجه الأمة المختارة لحمل رسالة السماء، وتخرَّج من صفوفهم العلماء والقادة والحكام.

وكان ابن عمر التلميذ النجيب الذي يرقب رسول الله ﷺ بحب وإعجاب، فيحفظ ما يرى من أفعاله وما يسمع من كلامه، ويسأل عما فاته إذا غاب، ويلازم المسجد فلا يكاد يفارقه، حتى قيل: كان ابن عمر من أحلاس[2] المسجد يأوي إليه ويسكنه[3].

وكانت مكانة أبيه عمر عند رسول الله ﷺ، وزواج

---

(١) الطبقات (٤ : ١٨٧).

(٢) أحلاس: جمع حلس ـ بكسر الحاء ـ وهو من يلزم المسجد.

(٣) حلية الأولياء (٢ : ٧) وجاء في صحيح البخاري: كان ابن عمر وهو شاب أعزب لا أهل له ينام في مسجد النبي ﷺ.

النبي ﷺ من أخته حفصة؛ يقربانه أكثر من رسول الله ﷺ، فتتميز صحبته بأنها صحبة ملاصقة ومخالطة لرسول الله ﷺ.

ومع أن تفاصيل حياته كلها تنبع من صحبته؛ فإننا سنقف مع بعض الأخبار الصحيحة، نشهده فيها قرب الرسول ﷺ يتعلم حكماً، أو يبرم عهداً، أو يتلقى أمراً.

فهذا هو في صحبته المبكرة يتصرف تجاه قائده رسول الله ﷺ بكل أدب واحترام، ويتلقى أمره بالاستجابة والطاعة، ويلتزم به إلى آخر أيام حياته؛ روى نافع عن ابن عمر قال: رأيت على عهد رسول الله ﷺ كأن بيدي قطعة استبرق وكأنني لا أريد مكاناً من الجنة إلا طارت بي إليه، قال ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار، فتلقاهما ملك فقال: لا تُرَعْ، فخلّيا عني، قال: فقصت حفصة على النبي ﷺ رؤياي، فقال رسول الله ﷺ: «نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل». قال: فكان عبد الله يصلي من الليل فيكثر[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما؛ أنه دخل على رسول الله ﷺ، فألقى إليَّ وسادة حشوها ليف فلم أقعد عليها، بقيت بيني وبينه[2].

---

(١) الطبقات (٤: ١٤٧).

(٢) حياة الصحابة (٢: ٧٥٥).

وعنه أن النبي ﷺ كساه حُلةً سيراء[1] وكسا أسامة قبطيتين[2] ثم قال: «ما مسَّ الأرض فهو في النار»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاءٌ، فقال: «يا عبد الله ارفع إزارك» فرفعته، ثم قال: «زد» فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: إلى أنصاف الساقين[4].

وعنه؛ قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[5].

ونقرأ حديثاً مشهوراً في التماس ابن عمر لهلال شهر رمضان؛ فنجده شاباً متحمساً للعبادة قريباً من رسول الله ﷺ يخبره برؤيته للهلال، فيثق النبي ﷺ بأمانته وعدالته فيصوم ويأمر الناس بالصيام؛ فعن ابن عمر قال: «تراءى الناس الهلال، فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته فصامه وأمر الناس بصيامه»[6].

---

(١) نوع من البرود يخالطه حرير.
(٢) القبطية ثوب من ثياب مصر رقيقة بيضاء وكأنه منسوب إلى القبط.
(٣) الطبقات (٤: ١٤٦).
(٤) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة.
(٥) سير النبلاء (٣: ١٤٢). والباب الذي خصصه الرسول ﷺ للنساء هو أحد أبواب المسجد النبوي.
(٦) أخرجه أبو داود بسند صحيح.

ويكلفه النبي ﷺ بمهمة دقيقة، وهي إراقة الخمور الموجودة لدى الناس في المدينة بعد أن نزلت آية التحريم، ويعلمه ﷺ كيف يشق زقاق الخمر، ويأمر بعض أصحابه أن يذهبوا معه ليساعدوه في إزالة المنكر، ولا شك أن ابن عمر كان حديث عهد بالشباب حين تم تكليفه بهذه المهمة، ولكن الرسول المعلم ﷺ كان يعرف في تلميذه النجابة والدقة في تنفيذ ما يؤمر به، ولنصغ إليه وهو يقول:

«خرج رسول الله ﷺ إلى المِرْبد فخرجت معه، فكنت عن يمينه، وأقبل أبو بكر فتأخرت له؛ فكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره، فأتى رسول الله ﷺ المربد، فإذا بأزقاق على المربد فيها خمر، قال ابن عمر: فدعاني رسول الله ﷺ بالمدية - قال ابن عمر: وما عرفتُ المدية إلا يومئذ - فأمر بالزقاق فشقت ثم قال: «لعنت الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها ومبتاعها، وحاملها والمحمولة إليه، وعاصرها ومعتصرها، وآكل ثمنها»(١).

ويقول: «أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بمدية - وهي الشفرة - فأتيته بها، فأرسل بها فأرهفت، ثم أعطانيها وقال: «اغد عليّ بها» ففعلت، فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق خمر قد جلبت من الشام، فأخذ المدية مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته، ثم أعطانيها، وأمر أصحابه

(١) مسند الإمام أحمد (٢ : ٧١).

الذين كانوا معه أن يمضوا معي وأن يعاونوني، وأمرني أن آتي الأسواق كلها فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته، ففعلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته»(١).

ويرى رؤيا فيفسرها النبي ﷺ بما يلخص حياة ابن عمر من ولادته حتى وفاته فيقول: «إن عبد الله رجل صالح»(٢)، وستبقى الرجولة مع الصلاح عنواناً لجميع أعماله ومواقفه؛ قال عبد الله: «رأيت في المنام كأن بيدي قطعةً من إستبرق ولا أشير بها إلى مكان من الجنة إلا طارت بي إليه. فقصَّتها حفصة على النبي ﷺ فقال: «إن أخاك رجل صالح» أو «إن عبد الله رجل صالح»(٣).

ويبشره النبي ﷺ أنه مع أبيه في الجنة؛ فتكون له أجمل بشرى؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت شاهد النبي ﷺ في حائط نخل فاستأذن أبو بكر، فقال النبي ﷺ: «ائذنوا له وبشروه بالجنة» ثم عمر كذلك، ثم عثمان فقال: «بشروه بالجنة على بلوى تصيبه» فدخل يبكي ويضحك، فقال عبد الله: فأنا يا نبي الله، قال: «أنت مع أبيك»(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢: ١٣٢ ـ ١٣٣).
(٢) الصالح: هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد. عن مرآة الجنان (١: ١٥٥).
(٣) رواه البخاري مسلم.
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٩).

ويوصيه رسول الله ﷺ فتبقى كلماته الحبيبة ترن في أذنيه، فيجدد العهد على المضي في بيعته بكل صدق ووفاء:

عن ابن عمر قال: قال لي النبي ﷺ: «أحب في الله، وأبغض في الله، ووالِ في الله، وعادِ في الله، فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك»(١).

وقال لي: «يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك، فإنك يا عبد الله بن عمر لا تدري ما اسمك غداً» قال: وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي. فقال: «كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل، وعدَّ نفسك في أهل القبور»(٢).

ثم قال لي: «يا عبد الله بن عمر، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، إنما هي حسنات وسيئات، جزاء بجزاء، وقصاص بقصاص، ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة، فيفضحك على رؤوس الأشهاد، ومن جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»(٣).

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٣١٢).

(٢) حلية الأولياء (١: ٣١٢).

(٣) أسد الغابة (٣: ٣٤٤).

وعن الأوزاعي؛ أن ابن عمر قال: «لقد بايعت رسول الله ﷺ، فما نكثت ولا بدلت إلى يومي هذا، ولا بايعت صاحب فتنة، ولا أيقظت مؤمناً من مرقده»(١).

وكان رسول الله ﷺ أحب الخلق إليه، ويظهر هذا الحب في اتباعه لآثار النبي ﷺ، وفي كلامه الصادق، ويغلبه حبه وشوقه فيعبر عنه بالبكاء والدموع.

ففي صحيح البخاري؛ أن عبد الله بن عمر قال: «ربما ذكرت قول الشاعر ـ وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يَسْتسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ثمالَ اليتامَى عِصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب(٢).

وكان يقول: «ما رأيت أشجع، ولا أنجد، ولا أجود، ولا أرضى من رسول الله ﷺ»(٣).

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: ما سمعت ابن عمر ذاكراً رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان(٤).

---

(١) الطبقات (٤: ١٦٤).

(٢) جامع الأصول (٦: ٢١٣) وقال في شرحه «يجيش»: جاش الوادي إذا دفق جريه وزخر، «ثمال»: ملجأ، «عصمة»: أي يستوثقن به ويركن إليه.

(٣و٤) الطبقات (٤: ١٦٨).

مشاهده مع النبي ﷺ

كانت مهمة النبي ﷺ تبليغ رسالة ربه إلى الناس جميعاً، ولكن قريشاً وقفت بكل عناد في طريق الدين الجديد، وناصبت الرسول العداء في مكة طيلة ثلاث عشرة سنة.

وبعد الهجرة ظلت قريش تطارد الدعوة، وانضم إلى معسكرها اليهود والمنافقون والمشركون في المدينة؛ فكان لا بد من إعداد القوة التي تحمي العقيدة وتوجد لها جواً من الحرية والأمن، وتصون كرامة المؤمنين؛ لذلك كله جاء الإذن من الله تعالى بالقتال، ووجد الرسول ﷺ من المهاجرين والأنصار الحماس والاندفاع، فحملوا السلاح وانتظموا تحت راية الرسول القائد ﷺ في كتائب متراصة وغاية كل واحد منهم إعلاء كلمة الله، وتحقيق النصر والعزة أو نيل الشهادة والجنة.

وكانت الرغبة في الجهاد والشوق إلى الشهادة؛ تشمل حتى الصغار، فكان رسول الله ﷺ يستعرض الجيش، ويجيز من الغلمان من بلغ الخامسة عشرة، ويرد من هم أقل عمراً من ذلك، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في مقدمة الغلمان المتحمسين للجهاد في سبيل الله، ولذلك نراه يعرض نفسه يوم بدر وأحد، فيرده الرسول ﷺ رحمة به وإشفاقاً عليه، ولا يجيزه إلا يوم الخندق حيث أتم الخامسة

عشرة من عمره، وبعد هذا القبول لم يتخلف عن أي غزوة أو مشهد.

عرضه على الرسول ﷺ في بدر وأحد

ففي بدر سار النبي ﷺ حتى بلغ «بيوت السُقْيا» وهي آبار عذبة الماء على نحو ميل من المدينة، فنزل بها وضرب عسكره هناك؛ ثم عرض الجند، فرد منهم صغارهم الذين لا يقوون على حمل السلاح؛ فكان ممن ردهم: عبد الله بن عمر، ورافع بن خديج، والبراء بن عازب[١]، وأُسَيْد بن ظُهَيْر، وزيد بن الأرقم، وزيد بن ثابت، وعرض عُمَيْر بن أبي وقاص فاستصغره، فبكى عمير، فأجازه وسيره مع الجيش[٢]. ويحدثنا ابن عمر عن حزنه وسهره لعدم إجازته ورده فيقول: عُرضت على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغرني فلم يقبلني، فما أتت عليَّ ليلة قط مثلها من السهر والحزن

---

(١) عن البراء قال: عرضت أنا وابن عمر يوم بدر فاستصغرنا رسول الله ﷺ. سير النبلاء (٣: ١٣٩).

(٢) روى الواقدي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: رأيت أخي عمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيستصغرني فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة: قال: فعرض على رسول الله ﷺ فاستصغره، فقال له: «ارجع». فبكى عمير، فأجازه رسول الله ﷺ. قال: فكان سعد =

والبكاء، إذ لم يقبلني رسول الله ﷺ[1].

وفي أحد مضى الرسول ﷺ بالجيش حتى أتى مكاناً يقال له «الشيخين» فعسكر به، ثم استعرض الجيش فرد من استصغره من جنوده وهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وعمرو بن حزم، وأسامة بن زيد، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأسيد بن ظُهَيْر، وأجاز ﷺ سَمْرة ابن جندب الفزاري، ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقيل له: يا رسول الله! إن رافعاً رامٍ، فأجازه. فلما أجاز رافعاً، قيل له: يا رسول الله، فإن سَمُرة يصرع رافعاً، فأجازه[2].

غزوة الخندق (أول مشاهده)

إن أول مشاهد عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ الخندق[3]، أجازه رسول الله ﷺ بعد أن بلغ من العمر خمس عشرة سنة؛ فعن نافع عن ابن عمر أنه قال: عُرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني

= يقول: فكنت أعقد له حمائل سيفه من صغره، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة. عن الإصابة (٣: ٣٦) والطبقات (٣: ١٤٩).

(١) حياة الصحابة (١: ٦٦٩).

(٢) سيرة ابن هشام (٢: ٦٦).

(٣) أسد الغابة (٣: ٣٤١).

وعُرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني[١].

وقد أصاب المسلمين كربٌ شديد في هذه الغزوة؛ ولكنها انتهت أخيراً بإخفاق الأحزاب ورحيلهم عن المدينة دون أن يحققوا ما أرادوا من القضاء على المسلمين ودعوتهم، وتفرقت القبائل وتفرق اليهود بسبب تأييد الله للمسلمين وثباتهم وطاعتهم لقائدهم رسول الله ﷺ، وبسبب مسعى نُعيم ابن مسعود في تشكيك كل فريق بنيّات الفريق الآخر.

غزوة بني قريظة

وفي اليوم التالي لرحيل الأحزاب، أمر رسول الله ﷺ مؤذناً، فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة[٢]، وذلك لتصفية الحساب مع هذه القبيلة اليهودية التي خانت وغدرت بالمسلمين، وعرضتهم للخطر الجسيم.

واشترك عبد الله بن عمر في هذه الغزوة وروى لنا كيف امتثل الصحابة أمر النبي ﷺ في الخروج إلى بني قريظة؛ أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) متفق عليه، ولهذا لما بلغ نافع عمر بن عبد العزيز هذا الحديث قال: إن هذا الفرق بين الصغير والكبير، ثم كتب به إلى الآفاق.

(٢) سيرة ابن هشام (٢ : ٢٣٤).

رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلين أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة» فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرد منا ذلك. فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم.

وقد دام حصار المسلمين ليهود بني قريظة خمسة وعشرين يوماً استسلم اليهود بعدها.

غزوة الحديبية

وشهد عبد الله بن عمر غزوة الحديبية[١]، وبايع رسول الله ﷺ على الموت في سبيل الله حتى قبل أن يبايع أبوه عمر، ففي البخاري عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال: يا عبدالله! انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ، فوجدهم يبايعون فبايع، ثم رجع إلى عمر فخرج فبايع.

---

(١) الحديبية: بئر على مرحلة من مكة المكرمة، وكانت غزوتها في ذي القعدة سنة ست من الهجرة النبوية، وكانوا يريدون العمرة، فمنعهم المشركون واصطلحوا على شروط، ثم عادوا في العام القابل فاعتمروا.

وكانت البيعة بسبب عثمان رضي الله عنه، وذلك أنه بعثه إلى مكة ليخبر قريشاً أنه لم يأت لحرب فاحتبسته قريش عندها، وبلغ الرسول ﷺ أنه قُتل، فدعا الناس إلى البيعة على مناجزة القوم ثم بلغه أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل.

وقد روى لنا عبد الله كيف بايع رسول الله ﷺ عن عثمان، فقال: بايع رسول الله ﷺ لعثمان فضرب بإحدى يديه على الأخرى[١].

وذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف: أن أول من بايع النبي ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فتح خيبر

ولما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث عشرين يوماً أو قريباً من ذلك ثم خرج إلى خيبر[٢]، وهي التي وعده الله إياها[٣] قال تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾[٤] وكان اليهود فيها يتآمرون مع

---

(١) البداية والنهاية (٤: ١٦٨).

(٢) تقع خيبر من المدينة على نحو مائة ميل إلى الشمال، وكانت واحة كبيرة خصبة ذات حصون ومزارع ونخل كثير.

(٣) البداية والنهاية (٤: ١٨١).

(٤) الفتح: ٢٠، فعجل لكم هذه: يعني فتح خيبر.

يهود وادي القرى لغزو المدينة، فبادرهم الرسول ﷺ بالغزو في عقر دارهم، وأوقع الله الرعب في قلوبهم، وجعلها غنيمة للمسلمين.

وكان عبد الله بن عمر ممن حضر هذه الغزوة؛ إذ لم يغب عن خيبر ممن شهد الحديبية إلا جابر بن عبد الله[١]، وأصبح لابن عمر أموال في خيبر يتفقدها كل عام، وهي نصيبه الذي قسمه رسول الله ﷺ له. ونقل عن «عبد الله» قوله: ما شبعنا ـ يعني من التمر ـ حتى فتحنا خيبر[٢].

إلى مؤتة

كانت سرية مؤتة[٣] أثراً من آثار دعوة الملوك إلى الإسلام، فقد كان من ضمن رسل النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي وكان رسولاً إلى أمير بصرى، فلقيه شرحبيل بن عمرو الغساني ـ أحد عمال الروم على الشام ـ ولما علم بمهمته أوثقه ثم قدمه فضرب عنقه. وكان هذا العمل الشاذ شديداً على رسول الله، واعتبره اعتداء مباشراً على الإسلام، فندب المسلمين إلى القتال والانتقام.

---

(١) البداية والنهاية (٤: ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٥: ١٧٨).

(٣) وقد سماها البخاري وابن اسحاق «غزوة مؤتة»، لكثرة جيش المسلمين فيها وإن لم يخرج فيها النبي ﷺ. و«مؤتة» قرية من قرى البلقاء في حدود الشام من ناحية الحجاز قرب البحر الميت.

واشترك عبد الله بن عمر في هذه السرية وروى لنا خبر تعيين الرسول ﷺ لأمراء مؤتة؛ ففي صحيح البخاري عن ابن عمر قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة».

وكان عدد المسلمين في مؤتة ثلاثة آلاف، وعدد الروم مائة ألف وانضم إليهم مائة ألف من العرب، فتردد المسلمون في الحرب، وأقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم، ولكن عبد الله بن رواحة شجع الناس فقال: يا قوم إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتهلم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس[1]، والتقوا بجموع هرقل من الروم والعرب، وكانت الراية مع زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل، ثم أخذها جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل، واصطلح الناس على خالد بن الوليد؛ فلما أخذ الراية دافع القوم وانحاز بالناس حتى انصرف[2].

---

(١) البداية والنهاية (٤: ٢٤٣).

(٢) البداية والنهاية (٤: ٢٤٥).

ولقد قاتل المسلمون في هذه المعركة ببسالة وشجاعة فائقة، وكان القتال قاسياً ومريراً بسبب الفارق الكبير بينهم وبين عدوهم في العدد، ولذلك فقد المسلمون أمراءهم الثلاثة في اليوم الأول، ونقل ابن عمر مشاهد مؤثرة من أرض المعركة رآها رأي العين؛ قال: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية[١]، وزاد البخاري في رواية أخرى عن ابن عمر: «ليس منها شيء في دبره». وقد أخذ جعفر اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل[٢]. وبقي هذا المشهد مطبوعاً في فكر ابن عمر وقلبه، فكان إذا حيّى ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[٣].

ندامة ابن عمر وأصحابه على الفرار يوم مؤتة

وقبل انصراف خالد بن الوليد بالجيش، فر عبد الله بن عمر مع بعض الناس[٤] وعادوا إلى المدينة؛ فتلقاهم رسول

---

(١) رواه البخاري.

(٢) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٤).

(٣) المصدر السابق (٤ : ٢٤٦).

(٤) رجح ابن كثير أن يكون الفرار وقع من طائفة من الجيش انهزموا من كثرة جموع العدو فقال: ومثل هذا يسوغ الفرار على ما قد تقرر، فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم وفتح الله عليهم، وتخلصوا من أيدي =

الله ﷺ والمسلمون معه، ولقيهم الصبيان يشتدون فجعلوا يحثون عليهم بالتراب ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل»[1].

ولنسمع ابن عمر يحدثنا عن فراره وندمه فيقول:

كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص[2] الناس حيصة، وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع؟ وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب، ثم قلنا: لو دخلنا المدينة فبتنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم؟» قال قلنا: نحن الفرارون. فقال: «لا، بل أنتم الكرارون، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين».

قال: فأتيناه حتى قبلنا يده[3].

وفي رواية ثانية قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلما لقينا العدو انهزمنا في أول غادية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً

= أولئك وقتلوا منهم مقتلة عظيمة كما ذكره الواقدي وموسى بن عقبة. البداية والنهاية (٤ : ٢٤٩).

(١) البداية والنهاية (٤ : ٢٤٨).

(٢) حاص الناس: جالوا جولة يطلبون الفرار.

(٣) حياة الصحابة (٢ : ٥٦) وقال: أخرجه الإمام أحمد.

فاختفينا ثم قلنا: لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه، فخرجنا إليه، فلما لقيناه، قلنا نحن الفرارون يا رسول الله! فقال: «بل أنتم العكارون[1] وأنا فئتكم»، قال الأسود: ـ أحد رواة الحديث ـ «وأنا فئة كل مسلم»[2].

فتح مكة

وشهد ابن عمر الفتح العظيم ـ فتح مكة ـ فدالت دولة الشرك والأصنام، وصعد بلال على سطح الكعبة يعلن كلمة الحق والإيمان ويدعو المسلمين إلى الصلاة.

وهذا عبد الله بن عمر يروي لنا خبر دخول رسول الله ﷺ إلى مكة عام الفتح، ويحدد المكان الذي دخل منه، فيقول: لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل، فتبسم إلى أبي بكر وقال: «يا أبا بكر، كيف قال حسان؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عدمنا خيلنا إن لم تروها   تثير النقع موعدها كداء
تظل جيادنا متمطرات   يلطمهن بالخمر النساء

(١) العكارون: أي الكرارون إلى الحرب والعطافون نحوها.
(٢) حياة الصحابة (٢: ٥٦) وقال: أخرجه الإمام أحمد.

فقال رسول الله ﷺ: «ادخلوها من حيث قال حسان»[1].

ويصف لنا تحطيم الأصنام فيقول: لما دخل رسول الله ﷺ مكة وجد بها ثلاثمائة وستين صنماً، فأشار إلى كل صنم بعصا وقال: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾، فكان لا يشير إلى صنم إلا ويسقط من غير أن يمسه بعصاه[2].

ويبقى بصر ابن عمر يلاحق خطوات الرسول الكريم لا لمجرد الاستطلاع أو الوصف؛ ولكن للتأسي بما يفعله رسول الله ﷺ، وسوف نرى عبد الله بن عمر حريصاً على تتبع آثار النبي وأفعاله حتى آخر لحظة من حياته، ففي البخاري عن نافع عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة[3] حتى أناخ في المسجد، فأمر أن يؤتى بمفتاح الكعبة، فدخل ومعه أسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة، فمكث فيه نهاراً طويلاً ثم خرج فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر أول من دخل، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً، فسأله أين صلّى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى

---

(١) البداية والنهاية (٤ : ٢٩٤).

(٢) المصدر السابق (٤ : ٣٠٢). والآية ٨١ من سورة الإسراء.

(٣) الحجبة: جمع حاجب، وهو سادن الكعبة الذي يتولى حفظها وبيده مفتاحها.

المكان الذي صلى فيه. قال عبد الله: ونسيت أن أسأله كم صلى من سجدة[1].

ويراه النبي القائد ﷺ يوم الفتح؛ فيعلن إعجابه به ويثني عليه خيراً؛ فعن مجاهد قال: شهد ابن عمر فتح مكة وهو ابن عشرين سنة، وهو على فرس جرور[2]، ومعه رمح ثقيل، وعليه بردة فلوت[3]، قال: فأبصره النبي ﷺ وهو يختلي لفرسه[4] فقال: «إن عبد الله، إن عبد الله» يعني أثنى عليه خيراً[5].

إلى بني جذيمة

وبعد فتح مكة بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى بني جذيمة من كنانة، وكان عبد الله بن عمر جندياً في هذه السرية التي كانت مهمتها الدعوة إلى الإسلام وتبليغ خبر الفتح، ويروي عبد الله خبر ذلك فيقول:

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا

---

(١) البداية والنهاية (٤ : ٣٠٣).
(٢) جرور: الفرس تزيد على أحد عشر شهراً، ولا تنقاد ولا تكاد تتبع صاحبها.
(٣) كساء فلوت: لا ينضم طرفاه من صغره.
(٤) يختلي لفرسه: يقطع له الخلاء وهو النبات الرطب.
(٥) طبقات ابن سعد (٤ : ١٧٢).

يقولون: صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً، قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيراً، حتى إذا أصبح يوماً، أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر: فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال: فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنيع خالد، فقال النبي ﷺ، ورفع يديه: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين[1].

وهذه الحادثة تبرز لنا جانباً مهماً من شخصية ابن عمر؛ فهو جندي مطيع يرغب في الجهاد، ولا يتخلف أو يتباطأ؛ ولكنه لا يطيع في معصية، كما علمه النبي ﷺ، ويحجب سيفه عن القتل إذا كانت هناك شبهة، وهذا موقف مبدئي سوف يبقى ابن عمر ملتزماً به، مهما كثرت من حوله الأوامر وتعددت المغريات.

غزوة حنين

وشهد ابن عمر غزوة حنين[2]، وقد بدأت المعركة في هذه الغزوة بالهزيمة[3] وانتهت بالنصر، ويعود الفضل في

---

(١) البداية لابن كثير (٤ : ٣١٤) والبخاري.

(٢) واد من أودية تهامة.

(٣) وكانت هذه الهزيمة في أول الأمر درساً للمسلمين حيث اغتروا بكثرتهم، فلم تغن عنهم كثرتهم شيئاً وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وولوا مدبرين، ثم رجعوا إلى ربهم واستمدوا منه العون =

كسب النصر إلى تأييد الله للمسلمين، وإلى ثبات النبي ﷺ ونداءه للناس أن يثبتوا بعد أن فوجئوا بعدوهم، ولم ينقل لنا أن ابن عمر كان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، ولا يضيره ذلك؛ فالذين ثبتوا أول الأمر لا تتجاوز أسماؤهم ثلاثة عشر، منهم أبوه عمر. ثم أخذ الناس يثوبون لنبيهم ويعودون إلى أرض المعركة حتى نصرهم الله.

وأعطى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب جارية من سبي هوازن، فوهبها لعبد الله ابنه.

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح، ليصلحوا لي منها يهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا، فقلت: تلكم صاحبتكم في بني جمح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها فأخذوها[1].

= والتأييد، فجاءهم التأييد والمدد القوي وكان النصر والفوز، وليت المسلمين اليوم يتعظون بهذا الدرس البليغ فلا يغترون بالكثرة ويتركون الاعتماد على الله، خاصة والكثرة اليوم غثاء لا خير فيه ولا قوة.

(١) ابن هشام (٢: ٤٩٠).

اشتراكه في السرايا

وحضور ابن عمر هذه المشاهد البارزة، يؤكد ما ذهب إليه كتَّابُ التراجم والسير؛ أنه شهد الخندق مع رسول الله ﷺ والمشاهد بعدها. وهو إلى جانب ذلك كان يتوجه في السرايا على عهد رسول الله ﷺ، ولنسمعه يحدثنا عن إحدى هذه السرايا فيقول:

إن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد فيهم ابن عمر، وإن سهامهم بلغت اثني عشر بعيراً، ثم نفلوا سوى ذلك بعيراً بعيراً، فلم يغيره رسول الله ﷺ(١).

ولقد حرصت على ذكر مشاهد ابن عمر في عهد النبي ﷺ؛ لأن هذه المشاهد والغزوات أصبحت من أهم ما يذكر في حياة الصحابة الأبرار بعد وفاة النبي ﷺ. ولقد نال ابن عمر من هذا الشرف العظيم القسط الأوفر، وسوف نراه في الفصول القادمة مجاهداً مثابراً لا يرمي السلاح، وينضم إلى صفوف الجند وتحت ألوية الفتح كلما نادى منادي الجهاد، حتى يصبح الدين كله لله.

---

(١) الطبقات (٤ : ١٤٦).

مَعَ الخُلفاءِ الرّاشِدينَ

- عبد الله وأبو بكر
- عبد الله وأبوه عمر
- عبد الله وعثمان
- عبد الله وعلي

مَعَ الخُلفاءِ الرّاشِدينَ

عبد الله وأبو بكر

في السنة الحادية عشرة من الهجرة توفي النبي ﷺ، وبويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وقد وقع في أيامه من الأمور الكبار: تنفيذ بعث أسامة، وقتال أهل الردة، ومانعي الزكاة، وقتل مسيلمة الكذاب، وجمع القرآن.

ازدحمت فترة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالأعمال الجليلة والأحداث الجسيمة، فقد انقلبت الجزيرة على عقبيها، ونقضت القبائل العربية عهودها ومواثيقها بعد وفاة الرسول ﷺ، وظهر جماعة منعوا الزكاة وآخرون ارتدوا عن الإسلام، وفريق ثالث أعلنوا أنهم أنبياء. واستشار أبو بكر الصحابة، فرأى أكثرهم ألا طاقة لهم بحرب العرب أجمعين، ولكن أبا بكر صاح مقسماً ليحاربن الجميع حتى يثوبوا إلى الحق أو حتى يموت أبو بكر مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله، فاستجاب الصحابة إلى رأي أبي بكر.

وقد كان لحرص الخليفة الأول رضي الله عنه في تنفيذ بعث أسامة ـ وكان آخر ما أمر به رسول الله ﷺ ـ وعدم قبول

أي مساومة أو تفريط في مبادىء الإسلام وعباداته؛ أكبر الأثر في إعادة مجد الإسلام وإعلاء شأنه، وتوحيد الجزيرة مع تمسك الجميع فيها بالدين الحنيف.

وقد شارك عبد الله بن عمر فيما حدث؛ فكان جندياً في بعث أسامة، ومحارباً يقاتل ببسالة في حروب الردة، ومراقباً للأحداث يرويها عن قرب ومشاهدة.

موقف أبي بكر من مانعي الزكاة

فهذا عبد الله بن عمر يشهد مشاورة أبي بكر المهاجرين والأنصار في قتال مانعي الزكاة، وينقل لنا موقفاً رائعاً لأبي بكر وخطبة عظيمة تدل على صدق عزيمته وقوته في دين الله.

ولنسمعه يروي لنا ما حدث فيقول:

«لما قبض النبي ﷺ اشرأب النفاق بالمدينة، وارتد العرب، فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال: إن هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، فأشيروا عليّ فما أنا إلا رجل منكم وإني أثقلكم حملاً لهذه البلية، فأطرقوا طويلاً، ثم تكلم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: أرى - والله - يا خليفة رسول الله! أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة، فإنهم حديثو عهد بجاهلية لم يعدَّهم الإسلام، فإما أن يردهم الله عنه إلى خير وإما أن يعز الله الإسلام فنقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يدان للعرب قاطبة. فالتفت إلى عثمان

رضي الله عنه فقال مثل ذلك؛ وقال علي رضي الله عنه مثل ذلك؛ وتابعهم المهاجرون؛ ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم. فلما رأى ذلك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن الله بعث محمداً ﷺ والحق قُلٌ شريد، والإسلام غريب طريد، قد رَثَّ حبله، وقلَّ أهله، فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الباقية الوسطى، والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا وعده ويفي لنا بعهده، فيقتل من قتل منا شهيداً في الجنة ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده، قضى الله الحق؛ فإن الله تعالى قال ـ وليس لقوله خُلف ـ: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾[1] والله؛ لو منعوني عقالاً مما كانوا يعطون رسول الله ﷺ ثم أقبل معهم الشجر والمدر والجن والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله، إن الله لم يفرق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما؛ فكبر عمر وقال: والله؛ قد علمت ـ والله؛ حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم ـ أنه الحق[2].

صور من معركة اليمامة

ويشهد عبد الله بن عمر معركة اليمامة[3] وهي من أعظم

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) حياة الصحابة (١: ٦٤١ ـ ٦٤٢).

(٣) وكان قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه.

المعارك التي خاضها المسلمون ضد المتنبئين؛ فقد جمع مسيلمة الكذاب أربعين ألفاً من بني حنيفة وأتباعهم حوله، وأكثرهم اتبعه عصبية حتى إن بعضهم كان يقول: أشهد أن مسيلمة كذاب وأن محمداً صادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر! واستطاع مسيلمة أن يبث فيهم الاستبسال والشجاعة دفاعاً عن أنفسهم وأحسابهم، فكان يوماً هائلاً انكشف فيه المسلمون أول الأمر وكادت الهزيمة تتم لولا رجال من ذوي الحمية والغيرة صرخوا في الناس أن يعودوا إلى القتال وأن يثبتوا، فتبعتهم فئة، ثم كروا بجمعهم ثانية حتى نصرهم الله وقتل مسيلمة.

ولقد أبدى ابن عمر في هذه المعركة بطولة في الحرب، وطلب الشهادة فلم تكتب له، ونقل إلينا صوراً رائعة من البطولة والشهادة تدل على قربه من العدو، حيث تمتحن النفوس أعظم امتحان.

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم الهمداني رضي الله عنه قال: لما كان يوم اليمامة واصطف الناس للقتال؛ كان أول الناس جرح أبو عقيل الأنيفي رضي الله عنه، رُمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فشطب في غير مقتل، فأخرج السهم ـ ووهن له شقه الأيسر ـ لما كان فيه؛ وهذا أول النهار وجُر إلى الرحل. فلما حمي القتال ـ وانهزم المسلمون وجازوا رحالهم وأبو عقيل واهن من جرحه ـ سمع معن بن

عدي رضي الله عنه يصيح بالأنصار: الله! الله! والكرة على عـدوكم، وأعنق معن يقدم القـوم، وذلك حين صـاحت الأنصار: أخلصونا! أخلصونا! فأخلصوا رجلاً رجلاً يميزون. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عقيل يريد قومه فقلت: ما تريد يا أبا عقيل! ما فيك قتال! قال: قد نوّه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت: إنما يقول: يا للأنصار! لا يعني الجرحى.

قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً.

قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً، ثم جعل ينادي: يا لـلأنصار؟ كـرة كيوم حنين فاجتمعوا ـ رحمهم الله ـ جميعاً يقدمُون المسلمين دُربةً[1] دون عـدوهم حتى أقحموا عـدوهم الحديقـة، فـاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم. قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل! قال: لبيك ـ بلسان ملتاث ـ لمن الدبرة؟ قال: قلت: أبشر، ورفعت صوتي: قد قتل عدو الله، فرفع أصبعه إلى السماء يحمد الله ومات ـ يرحمه الله ـ قال ابن عمر: فأخبرت عمر

(١) دربة: جراءة وشجاعة ووقفة.

رضي الله عنه بعد أن قدمت خبره كله. فقال: رحمه الله! ما زال يسأل الشهادة ويطلبها. وإن كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديم إسلام[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين! أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر؛ هلموا إلي! وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب[2] وهو يقاتل أشد القتال[3].

لوم وعتاب

واستشهد زيد بن الخطاب في معركة اليمامة، ورجع عبد الله بن عمر سالماً، فجعل عمر يؤنب ابنه لماذا لم يستشهد كعمه زيد، ولنسمع هذا الحوار بين الأب المربي والابن الصادق.

عن سالم قال: قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع: ألا هلكت قبل زيد؟! هلك زيد وأنت حي؟! فقال: قد حرصت على ذلك أن يكون؛ ولكن نفسي تأخرت، فأكرمه الله

---

(١) الطبقات (٣: ٤٧٤).
(٢) تذبذب: تتحرك وتضطرب.
(٣) الطبقات (٣: ٢٥٤).

بالشهادة[1]. وفي رواية عن سهل قال: ما جاء بك وقد هلك زيد؟ ألا واريت وجهك عني، فقال: سأل الله الشهادة فأعطيها، وجهدت أن تساق إليَّ فلم أعطها[2].

ولا شك أنها عظمة الإسلام، وتربية الرسول ﷺ التي جعلت من قبائل الجزيرة العربية المتفرقة والمتناحرة أمة الجهاد والتضحية؛ فأصبحت بحق خير أمة أخرجت للناس، وكان منها مثل هذا الأب العظيم وهذا الابن المطيع.

لقد تعلم الأب من الإسلام ومن قائده رسول الله ﷺ أن التضحية بالنفس والمال والولد هي سبيل العزة والكرامة، فلا يكتفي من ابنه حضوره المعركة ورجوعه مع الجيش الغالب المنتصر... بل يريده شهيداً في سبيل الله كعمه زيد بن الخطاب.

فأين نحن اليوم من تلك النفوس الكبيرة؟!

لقد رق الإسلام في قلوبنا وأعمالنا... وأصبحنا نتنافس في إبعاد أبنائنا عن خوض المعارك والحروب، ونزجهم ليحترقوا في شهوات الحياة وصغائر الأمور، ونجني معهم في النهاية الذلة والصَّغار.

(1و2) الطبري (٣: ٢٩٢).

عبد الله وأبوه عمر

ولي عمر رضي الله عنه الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فقام بالأمر أتم القيام، وظهرت بركة الإسلام، وكثرت الفتوح في أيامة؛ ففتحت دمشق والأردن، والأهواز والمدائن، ومصر وغيرها.

وتعتبر هذه الفترة التي حكم فيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من أخصب فترات حياة «عبد الله» بعد عهد رسول الله ﷺ، فقد شارك في الفتوحات الإسلامية؛ وقدم الشام والعراق والبصرة وفارس جندياً مجاهداً في سبيل الله وشهد اليرموك وفتح مصر[1].

وكان عبد الله معجباً بعمر، محباً، مطيعاً لكل ما يشير به، متشبهاً بأفعاله، وفياً لذكراه، وهذا الارتباط الوثيق بين الابن البار والأب العظيم جعل ابن عمر يروي لنا الأحاديث الواردة في فضائل أبيه، ويرصد خطواته منذ إسلامه حتى استشهاده.

ويهمنا ونحن نرقب نشاطات عبد الله في هذا العهد

(١) أسد الغابة (٣: ٢٤١).

الميمون؛ أن نرى عمر الخليفة العادل، المربي الناجح، والأب العطوف، والوالد المسؤول، وهو يكرم ابنه الأكبر ويهتم بنصحه وإرشاده، ويغرس في نفسه الجرأة والشجاعة، والشوق إلى الجهاد، والحرص على نيل الشهادة، ويبعده عن مواطن الشبه، ويعلمه الورع، ويزهده في الحرام.

عبد الله وعمر في صحبة النبي ﷺ

فهذا عبد الله يحدثنا عن تشجيع أبيه له في الإجابة على سؤال الرسول ﷺ إن كان يعلم، فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المؤمن حدثوني ما هي؟» قال عبد الله: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة، فقال النبي ﷺ: «هي النخلة» فاستحييت أن أقول[1]، قال عبد الله: فحدثت عمر بالذي وقع في نفسي؛ فقال: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا[2].

ويتقدم ابن عمر النبي ﷺ، فيعلمه أبوه أدب الصحبة؛ عن ابن عمر أنه كان مع النبي ﷺ في سفرٍ على بكرٍ صعب

(١) وفي رواية مجاهد عن ابن عمر: «فنظرت فإذا أنا أصغر القوم.. الخ الحديث».

(٢) جامع الأصول (٦: ٥٧٥) وانظر الحديث وشرحه في سنن الترمذي (٨: ٨٠) طبعة حمص.

لعمر، وكان يتقدم النبي ﷺ، فيقول له أبوه: يا عبد الله! لا يتقدم النبي أحد[1].

ويطلب منه عمر أن يطلق زوجته التي يحبها؛ فيتردد عبد الله في الاستجابة لهذا الطلب، ويذكر ذلك للنبي ﷺ فيأمره بالطلاق، ولنسمعه يحدثنا فيقول: كانت تحتي امرأة أحبها، وكان أبي يكرهها، فأمرني أن أطلقها، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له، فقال: «يا عبد الله طلق امرأتك»[2].

استئذان عمر في الجهاد

قال ابن عمر: استأذنت عمر في الجهاد فقال: أي بني، إني أخاف عليك الزنى؟ فقلت: أو على مثلي تتخوف ذلك؟ قال: تلقون العدو فيمنحكم الله أكتافهم، فتقتلون المقاتلة، وتسبون الذرية، وتجمعون المتاع، فتقام جارية في المغنم فينادى عليها، فتسوم[3] بها، فينكل[4] الناس عنك، ويقولون: ابن أمير المؤمنين، ولله وللرسول ولذي القربى

---

(١) أخرجه البخاري. والبكر: الفتي من الإبل.

(٢) رواه أبو داود والترمذي. ومعنى الحديث: أي طلقها مرضاة لوالدك فإنه محق في كراهيتها، وهذا خاص بعمر رضي الله عنه، وإلا فالطلاق لا يجوز إلا لسبب شرعي وليس منه مجرد طلب الوالدين، عن هامش التاج (١: ٣٤٢).

(٣) فتسوم: تغالي في ثمنها.

(٤) فينكل: ينكص.

واليتامى والمساكين وابن السبيل فيها حق، فتقع عليها فإذا أنت زان! اجلس[1].

وهذا المنع ربما وقع في أول حكم عمر رضي الله عنه، ثم رُفع وسُمح لابن عمر أن يجاهد، وبعد أن وعى درس أبيه العظيم في الورع؛ فشهد فتح نهاوند في طائفة من المهاجرين والأنصار مع النعمان بن مقرِّن أمير الجيش[2]. واشترك في فتح مصر واختط بها[3]، وروى عنه أكثر من أربعين نفساً من أهلها[4].

عدوان اليهود على ابن عمر

ويعتدي يهود خيبر على ابن عمر، فيكون سبباً مباشراً لإخراجهم من الجزيرة العربية؛ قال عبد الله: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، فعُدي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي، ففدعت[5] يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ عليَّ صاحباي، فأتياني فسألاني من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري، قال فأصلحا من يدي ثم قدما بي على عمر

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١١١).

(٢) الطبري (٤: ١١٥).

(٣) اختط بها: أي بنى داراً.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣: ١٣٨).

(٥) فدعت يداي من مرفقي: زالت المفاصل عن أماكنها.

رضي الله عنه، فقال: هذا عمل يهود. ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن رسول الله ﷺ كان عامل[1] يهود خيبر على أنّا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما قد بلغكم؛ مع عدوهم على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإني مخرج يهود، فأخرجهم[2].

الأب المربي الناصح والابن البار المطيع

ويروي لنا التاريخ دروساً في الزهد والورع لقّنها عمر لابنه عبد الله، فتلقاها الابن البار بالطاعة الممزوجة بالحب والتقدير، وأصبحت من مروياته التي يعتز بها ويحرص على الوفاء لها، ولنصغ إليه وهو يضعها في سمع الزمن أمانة للأجيال المسلمة من بعده؛ قال ابن عمر: اشتريت إبلاً وارتجعتها إلى الحمى، فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله! بخٍ بخٍ[3] ابن أمير المؤمنين! قال: فجئته أسعى فقلت: مالك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ فقلت: إبلٌ أنضاء[4] اشتريتها وبعثت بها

(١) عامل: دفع إليهم الأرض يقومون بما تحتاج إليه من عمارة وزراعة.
(٢) سيرة ابن هشام (٢ : ٣٥٧).
(٣) بخ: كلمة تقال لتعظيم الأمر وتفخيمه.
(٤) أنضاء: جمع نضو أي مهزول.

إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر! اغد على رأس مالك واجعل باقيه في بيت مال المسلمين[1].

وقال: شهدت جلولاء[2]، فابتعت من الغنائم بأربعين ألفاً، وقدمت على عمر، فقال: يا عبد الله بن عمر لو انطُلِقَ بي إلى النار كنت لي مُفتدَىً؟ قلت: نعم، بكل شيء أملك. قال: فإني مخاصم، وكأني بك تبايع بجلولاء، يقولون: هذا عبد الله بن عمر صاحب رسول الله وابن أمير المؤمنين وأكرم أهله عليه، وأن يرخصوا عليك كذا وكذا درهماً أحب إليهم من أن يغلوا عليك بدرهم، وسأعطيك من الربح أفضل ما ربح رجل من قريش، ثم أتى باب صفية بنت أبي عبيد (زوجة ابن عمر) فقال: أقسمت عليك أن تخرجي من بيتك شيئاً أو تخرجين منه وإن كان عنق طيبة، قالت: يا أمير المؤمنين، لك ذلك.

ثم تركني سبعة أيام، ثم استدعى التجار، ثم قال: يا عبد الله بن عمر إني مسؤول. قال: فباع من التجار متاعاً بأربعمائة ألف فأعطاني ثمانين ألفاً وأرسل ثلاثمائة وعشرين ألفاً إلى سعد[3] فقال: اقسم هذا المال فيمن شهد الوقعة،

---

(١) الرياض النضرة (٢ : ٤٧).

(٢) جلولاء: قرية ببغداد قرب خانقين بمرحلة.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وكان قائد المعركة.

فإن كان أحد منهم مات فابعث بنصيبه إلى ورثته[1].

وروى مالك في الموطأ أنه خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة، فرحب بهما وسهل وقال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به، ثم قال: بلى، ها هنا مال من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين فأسلفكماه، فتبتاعان به متاعاً من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال إلى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح، فقالا: وددنا ذلك ففعل، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال. فلما قدما باعا فأربحا، فلما دفعا ذلك إلى عمر قال: أكلُّ الجيش أسلفه؟ قالا: لا. فقال عمر: ابنا أمير المؤمنين أسلفكماه، أدِّيا المال وربحه. فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين، لو نقص هذا المال أو هلك لضمناه. فقال عمر: أدِّياه، فسكت عبد الله وراجعه عبيد الله. فقال رجل من جلساء عمر يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً[2]، فأخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال. قالوا: وهو أول قراض في الإسلام[3].

وقال عبد الله بن عمر: دخل أمير المؤمنين عمر ونحن

---

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (ص ١١٠ - ١١١).

(٢) القراض: الشركة، وهو المضاربة في لغة أهل الحجاز.

(٣) تاريخ الأمم الإسلامية للخضري (٢: ١٦).

على مائدة، فأوسعت له عن صدر المجلس، فقال: بسم الله ثم ضرب بيده في لقمة فلقمها، ثم بأخرى، ثم قال: إني لأجد طعم دسم غير دسم اللحم، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، إني خرجت إلى السوق أطلب السمن لأشتريه فوجدته غالياً، فاشتريت بدرهم من المهزول وجعلت عليه بدرهم سمناً، فقال عمر: ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، ولن يجتمعا عندي أبداً إلا فعلت ذلك[1].

وحُقَّ لابن عمر أن يحفظ هذه الدروس وأن يتيه بسمعه وطاعته لأبيه وقد تكاملت جوانب العظمة في شخصيته؛ فهو عظيم في عدله وحكمه، وعظيم في زهده وورعه، وعظيم في مسؤوليته عن بنيه وتربيته لهم.

وصايا عمر لعبد الله

وأوصى عمر ابنه عبد الله أجمل وصية يتركها والد لولده؛ فقد كتب إليه: أما بعد، اتق الله فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل على الله كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خَلَق له[2].

(١) الرياض النضرة (٢: ٤١).

(٢) حياة الصحابة (٤: ٣٤٦) والخلق: البالي.

وأوصاه عند الموت فقال:

يا بني عليك بخصال الإيمان. قال: وما هن يا أبت؟

قال: الصوم في شدة أيام الصيف، وقتل الأعداء بالسيف، والصبر على المصيبة، وإسباغ الوضوء في اليوم الشاتي، وتعجيل الصلاة في يوم الغيم، وترك رَدْغة الخبال، قال: فقال: وما ردغة الخبال؟ قال: شرب الخمر[1].

الوداع الأخير

وعندما طُعن عمر رضي الله عنه بخنجر الغدر والخيانة، وبدأ يعد للرحيل إلى الله عدته، كان حديثه موجهاً إلى ابنه الأكبر عبد الله، الجدير بتنفيذ وصيته، ووفاء دَيْنه، وترتيب تجهيزه ودفنه:

قال عثمان رضي الله عنه: أنا آخركم عهداً بعمر، دخلت عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر، فقال له: ضع خدي بالأرض. قال: فهل خدي والأرض إلا سواء؟

قال: ضع خدي بالأرض لا أم لك ـ في الثانية أو الثالثة ـ ثم شبك بين رجليه، فسمعته يقول: ويلي وويل أمي إن لم يغفر الله لي، حتى فاضت نفسه[2].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣: ٣٠٩)

(٢) الطبقات الكبرى (٣: ٣٦٠).

وقال لابنه: يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليَّ من الدين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألف درهم أو نحوه، قال: إن وفَّى به مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم[1].

ثم قال لعبد الله بن عمر: اضمنها. فضمنها، قال: فلم يدفن عمر حتى أشهد بها ابن عمر على نفسه أهل الشورى وعدة من الأنصار، وما مضت جمعة بعد أن دفن عمر حتى حمل المال إلى عثمان بن عفان، وأحضر الشهود على البراءة بدفع المال[2]. وطلب عمر من عبد الله أن يذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويستئذنها أن يدفن مع صاحبيه. وبيّن له في آخر كلماته ما يفعل به إذا حضرته الوفاة.

وهكذا كان اسم «عبد الله» يتردد على لسان عمر، وأنفاسه الحارة والمتلاحقة تنذر بالخطر الشديد، وعبد الله يسرع في الإجابة حتى كأنه يريد باستجابته الفورية لطلبات أبيه المتتابعة؛ أن يخفف عنه آلام الطعنة الجائفة، وأن يبعد عن نفسه شبح النتائج المترتبة عليها.

---

(١) الرياض النضرة: (٢ : ٦٩)، وقال في تيسير الوصول: خرجه البخاري.

(٢) الطبقات الكبرى (٣ : ١٥٨).

ويأبى عمر رضي الله عنه أن يستخلف؛ رغم إلحاح ابنه عبد الله وغيره من الصحابة، ويتركها شورى في ستة: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم؛ ويذكر عمر ابنه البار «عبد الله» وما بذله في نصرة الإسلام؛ فيجعل اسمه مع الستة مشيراً وليس منهم، وهذا تقدير عظيم، واحترام وإكرام معنوي كبير، يدل على مكانة عبد الله في نفس أبيه.

بر عبد الله بأبيه وتشبهه به

وكان ابن عمر معجباً بأبيه باراً به، وحافظاً لوده، وقاصداً لعمله متشبهاً به، فهذا هو يقول: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله أجد ولا أجود من عمر[1].

وكان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروَّح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار فقال: اركب هذا، والعمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك! أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروَّح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك. فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إن من

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢: ٩).

أبر البر صلة الرجل أهل وُدّ أبيه بعد أن تولى» وإن أباه كان وداً لعمر رضي الله عنه[1].

وأخرج هذا الحديث البخاري بنحوه مختصراً، وفي حديثه: فقال بعض من معه: أما يكفيه درهمان؟ فقال: قال النبي ﷺ: «احفظ وُدَّ أبيك لا تقطعه؛ فيطفىء الله نورك».

وكان أصحاب عبد الله الذين عرفوه عن قرب يؤكدون تشبهه بأبيه؛ فعن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قيل له: كيف ترى عبد الله بن عمر لو ولي من أمر الناس شيئاً؟ فقال أسلم: ما رجل قاصد لباب المسجد داخل أو خارج بأقصَد من عبد الله لعمل أبيه[2].

وقال أسلم: ما ناقةٌ أضلَّت فصيلها في فلاة من الأرض بأطلب لأثره من ابن عمر لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما[3].

وقال سعيد بن المسيب:
كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله[4].

فهنيئاً لعبد الله هذا البر، وهنيئاً له هذا التشبه بأبيه عمر.

---

(١) حياة الصحابة (٣: ٧٨)، وقال أخرجه أبو داود والترمذي ومسلم.
(٢) الطبقات (٤: ١٥٠).
(٣) حلية الأولياء (١: ٣١٠).
(٤) صفة الصفوة (١: ٥٦٧).

عبد الله وعثمان

توفي عمر رضي الله عنه وقد عين الستة المبشرين بالجنة؛ ليختاروا من بينهم خليفة بعد استشارة المسلمين، فاجتمع هؤلاء للمشاورة، واقترح عبد الرحمن بن عوف أن يخرج أحدهم نفسه، ويتولى الذي يخرج مشاورة الناس واختيار الخليفة من بين الخمسة الآخرين فقبلوا بذلك، وعرض عليهم أن يكون ذلك الشخص فقبلوا وعاهدوه على ذلك، وعاهدهم على الحق والعدل.

واستشار عبد الرحمن الناس واستشار المرشحين، ووجد الإجماع يكاد ينعقد على عثمان أو علي، فقدم عثمان رضي الله عنه؛ فكان عند الظن به ما خالف له عهداً ولا نكث عقداً ولا اقتحم مكروهاً ولا خالف سنة[1].

ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة اثنتي عشرة سنة، وقد مضت السنوات الست الأولى من خلافته والناس لا ينقمون

(١) انظر تاريخ الطبري (٤ : ١٩٣)، والعواصم من القواصم (ص ٥٢ - ٥٣)، والتاريخ الإسلامي (١ : ٢٨٠) للدكتور أحمد شلبي.

عليه شيئاً[1]، وفي الست الأواخر من خلافته؛ بدأ أصحاب الأهواء وأغراض السوء يتهمونه بأنه استعمل أقاربه وأعطاهم المال، وأنه خالف العهد الذي قطعه على نفسه لعبد الرحمن ابن عوف والمسلمين عند مبايعته بالخلافة؛ بأن يسير على سنة النبي ﷺ وسيرة خليفتيه من بعده.

والذي يهمنا هنا فيما حدث من أحداث أدت إلى استشهاد الخليفة المظلوم هو ما يخص عبد الله بن عمر منها.

أثناء الحصار

في سنة خمس وثلاثين هجرية حاصر البغاة عثمان في داره وطلبوا منه أن يخلع نفسه، وهددوه بالقتل، فاستشار عثمان ابن عمر، وكان يدخل على عثمان وهو محاصر، وطلب منه أن يسمح له بالقتال فأبى، ولنرقب ابن عمر في هذا الموقف العصيب من حياة عثمان ومن تاريخ الإسلام، والذي حاكته السبئية اليهودية في الظلام.

فعن نافع؛ أن ابن عمر دخل على عثمان، فقال له عثمان: انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك. قال له ابن عمر: أمخلدٌ أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: هل يزيدون علي أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: هل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قال: لا. قال: فلا تخلع قميص

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص ١٥٦ ـ ١٥٧).

الله عنك فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه[1].

وهذا الموقف المبدئي الذي يشير به ابن عمر يدل على رأي سديد وفكر ثاقب؛ نراه يتكامل عندما يعرض على الخليفة المحصور طاعته للقتال ودفع المتآمرين.

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: دخل ابن عمر على عثمان فسلم ثم قال: يا أمير المؤمنين، صحبت رسول الله ﷺ فسمعت وأطعت، ثم صحبت أبا بكر فسمعت وأطعت، ثم صحبت عمر فسمعت وأطعت، ورأيت له حق الوالد وحق الخلافة، وها أنا طوع يديك يا أمير المؤمنين فمرني بما شئت، فقال عثمان: جزاكم الله يا آل عمر خيراً مرتين: لا حاجة لي في إراقة الدم، لا حاجة لي في إراقة الدم[2].

وفي البداية لابن كثير عن مغازي موسى بن عقبة؛ أن ابن عمر لم يلبس سلاحه[3] بعد رسول الله ﷺ إلا يوم الدار - في

(١) العواصم من القواصم (ص ١٣٠).
(٢) الرياض النضرة (٢: ١٦٩). وسبب هذا المنع من عثمان رضي الله عنه؛ «أنه اختار أهون الشرين، فآثر التضحية بنفسه على توسيع دائرة الفتنة وسفك الدماء. وعثمان افتدى دماء أمته بدمه مختاراً فما أحسن الكثيرون منا جزاءه، وإن أوربا تعبد بشراً بزعم الفداء ولم يكن فيه مختاراً» عن هامش العواصم (ص ١٣٧).
(٣) يعني لم يلبس سلاحه في الفتن.

خلافة عثمان ـ ويوم نجدة الحروري[1] ـ أيام عبد الله بن الزبير ـ[2].

وفي طبقات ابن سعد: أن ابن عمر لبس الدرع يوم الدار مرتين[3].

ولكن ابن عمر لم يمنع من استعمال سلاحه فحسب. بل إن الخليفة كلفه بتبليغ إرادته في عدم إراقة الدم للناس؛ فهذا عبد الله بن عامر بن ربيعة يقول: كنت مع عثمان في الدار، فقال: اعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه، ثم قال: قم يا ابن عمر ـ وعلى ابن عمر سيفه متقلداً ـ فأخبر به الناس، فخرج ابن عمر والحسن بن علي، ودخلوا ـ أي المحاصرون للدار ـ فقتلوه[4].

وتأهب ابن عمر واستعداده للقتال يؤكد أنه استشعر من الثوار قتل الخليفة ولنسمع قوله في ذلك:

جاءني رجل في خلافة عثمان فإذا هو يأمرني أن أعتب على عثمان، فلما قضى كلامه قلت له: إنَّا كنا نقول ورسول

---

(١) هو نجدة بن نافع الحنفي الحروري، أحد زعماء الخوارج قدم مع أناس من الخوارج سنة أربع وستين يمنعون البيت في خلافة ابن الزبير، فاستعد الناس لحربهم وكان منهم ابن عمر.

(٢) البداية: (٧: ١٨٢).

(٣) الطبقات (٤: ١٥٦).

(٤) العواصم من القواصم (ص ١٣٢).

الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمة محمد بعده: أبو بكر وعمر ثم عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفساً بغير حق، ولا جاء من الكبائر شيئاً، ولكنه هذا المال، إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطاه قرابته سخطتم. إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون لهم أميراً إلا قتلوه، ففاضت عيناه بأربعة من الدمع ثم قال: اللهم لا تُرِدْ ذلك[1].

دفاعه عن عثمان

وبقي ابن عمر ثابتاً على ولائه لعثمان بعد استشهاده رضي الله عنه؛ يدافع عنه بلسانه بعد أن منعه أن يدافع عنه بسيفه، ولقد كان دفاعه حقائق دامغة وشواهد ثابتة، تفحم الخصوم وتخرسهم؛ فقد أخرج البخاري من حديث عبد الله بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً، فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم أحد؟ قال: نعم. فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! قال ابن عمر: تعال أُبيِّن لك: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول

(١) الرياض النضرة (٢ : ١٥٨).

الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان؛ فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان» فضرب بها على يده فقال: «هذه لعثمان». ثم قال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[1].

وروى سالم بن عبد الله بن عمر أنَّ أباه قال: لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه[2].

وابن عمر كان شاهد عيان لخلافة عثمان من أولها إلى آخرها[3]، وما يقوله حق وصدق.

وسئل ابن عمر عن علي وعثمان فقال للسائل: قبحك الله تسألني عن رجلين ـ كلاهما خير مني ـ تريد أن أغض من أحدهما وأرفع من الآخر[4].

فلله در ابن عمر في دفاعه المنصف عن أصحاب رسول الله ﷺ، ولله دره في التزامه وثباته على هذا الإنصاف.

---

(١) العواصم من القواصم (ص ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢و٣) المصدر السابق (ص ٥٤).

(٤) المصدر نفسه (ص ٥٥).

عبد الله وعلي

بعد مقتل عثمان رضي الله عنه بقيت المدينة خمسة أيام بغير خليفة، والأمير فيها الغافقي بن حرب زعيم الثوار المصريين، والناس يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، يأتي المصريون علياً، والكوفيون الزبير، والبصريون طلحة، فيتبرأ الثلاثة من مقالتهم[1]. فخشي المهاجرون والأنصار اتساع الخرق، وخاف الثوار ثورة الناس عليهم، فعزم الجميع على عقد البيعة لعلي رضي الله عنه، وقد رأى أن ذلك فرض عليه فقبله، وعقد طلحة رضي الله عنه له البيعة، وبايعه عامة الناس[2].

وقد ظن الثوار المغرر بهم أن في قتل عثمان راحة لهم وللمسلمين، ولكن الأحداث التي وقعت، والفتنة التي بدأت واتسعت؛ أكدت أنهم لم يجدوا الراحة بقتله، ولم يجد المسلمون بعده إلا الانقسام والاختلاف، وهذا ما أراده عبد الله بن سبأ اليهودي وأعداء الإسلام والموتورون، وأصحاب

(١) تاريخ الطبري (٥: ١٥٥) بتصرف.

(٢) انظر العواصم من القواصم (ص ١٤٣)، والطبري (٥: ١٥٣).

المصالح الخاصة، والمخدوعون، الذين استجابوا لدعوته الماكرة.

وسنرقب موقف عبد الله بن عمر في خضم هذه الأحداث المؤلمة، ونرى تصرفاته في ضوء ما حدث.

الثوار يعرضون عليه الخلافة

لما لم يجد الثوار قبولاً للخلافة عند علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم، بعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع، فاقدَم نبايعك، فبعث إليهم: إني وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لي فيها على حال.

ثم إنهم أتَوا ابن عمر عبد الله؛ فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرض له فالتمسوا غيري[1].

وهذا العرض كان جدياً حتى إنهم هددوه بالقتل، كما نقل إلينا الحسن البصري رضي الله عنه قال:

لما كان من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة، أتوا عبد الله ابن عمر فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم، والناس بك

---

(١) تاريخ الطبري (٤: ٤٣٢).

راضـون، اخرجْ نبـايعك. فقـال: لا، واللهِ لا يهراق فيَّ محجمة من دم ولا في سببي ما كان فيَّ الروح. قال: ثم أُتي فخوِّف. فقيل له: لتخرجن أو لتقتلن على فراشك. فقال مثل قوله الأول.

قال الحسن: فوالله ما استقلوا منه[1] شيئاً حتى لحق بالله تعالى[2].

اعتزال ابن عمر الفتن

وعندما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، آثر عبد الله بن عمر أن يبقى معتزلاً؛ يبتعد عن الناس فلا يرفع سيفه في وجه مسلم، ويفتي بعدم بيع السلاح في ذلك القتال الذي جرى بين المسلمين في معركتي الجمل وصفين.

قال نافع مولاه: لما قتل عثمان جاء علي إلى ابن عمر فقال: إنك محبوب إلى الناس فسر إلى الشام. فقـال: بقرابتي وصحبتي والرحم التي بيننا[3]. قال: فلم يعاوده[4].

ويقـول ابن عمر: بعث إليَّ علي فقـال: يا أبـا عبد الرحمن، إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمّرتك ،

(١) ما استقلوا منه شيئاً: أي ما بلغوا منه شيئاً.

(٢) حلية الأولياء (١ : ٢٩٣).

(٣) يناشد ابن عمر علياً رضي الله عنهما بهذه الأمور ليعفيه من السير إلى الشام. ومعنى لم يعاوده: لم يطلب إليه ثانية.

(٤) سير أعلام النبلاء (٣: ١٤٩).

عليهم. فقلت: أذكر الله وقرابتي من رسول الله ﷺ وصحبتي إياه، إلا ما أعفيتني، فأبى عليٌّ. فاستعنت عليه بحفصة فأبى. فخرجت ليلاً إلى مكة، فقيل له: إنه قد خرج إلى الشام. فبعث في أثري، فجعل الرجل يأتي المربد فيخطم[1] بعيره بعمامته ليدركني. قال: فأرسلت حفصة أنه لم يخرج إلى الشام، إنه خرج إلى مكة فسكن[2][3].

وهذا يظهر لنا تقدير علي رضي الله عنه لابن عمر، ومعرفته أنه محبوب عند الناس، ونتساءل عن السبب الذي جعل ابن عمر يتخذ هذا الموقف ويرفض الإمارة، فلا نجد الجواب الشافي إلا عند ابن عمر نفسه؛ فعن القاسم بن عبد الرحمن: أنهم قالوا لابن عمر في الفتنة الأولى ألا تخرج فتقاتل؟ فقال: قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله عز وجل من أرض العرب، فأنا أكره أن أقاتل من يقول: لا إلّه إلا الله. قالوا والله ما رأيك ذلك؛ ولكنك أردت أن يفني أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم بعضاً، حتى إذا لم يبق غيرك قيل: بايعوا لعبد الله بن عمر بإمارة المؤمنين. قال: والله ما ذلك فيَّ، ولكن إذا قلتم حيَّ على الفلاح

---

(١) الخطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير.
(٢) سكن: أي هدأ عن طلبه.
(٣) سير أعلام النبلاء (٣: ١٤٩ ـ ١٥٠).

أجبتكم، وإذا افتــرقتم لم أجـامعكم، وإذا اجتمعتم لم أفارقكم[1].

أسف ابن عمر على ترك نصرة علي

وتمر سنوات، ويفكر ابن عمر في موقفه في خلافة علي رضي الله عنه فيحزن ويأسف؛ لأنه لم يقاتل معـه الفئة الباغية، وربما حصل هذا بعد أن عرف ابن عمر قيمة تأييده لعلي ونصرته له، ولكن مقتل عثمان وما لابس بيعة علي من الاضطراب؛ كل ذلك جعله يقرر العزلة ويترك المدينة ليلاً قاصداً إلى مكة؛ قال ابن الأثير:

لم يشهد ابن عمر مع علي شيئاً من حروبه، حين أشكلت عليه، ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه[2].

ولنسمع ابن عمر يحدثنا عن هذا الأسف والندم بنفسه فيقول وهو يحتضر: ما أجد في نفسي شيئاً إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب[3].

وقد نجد المبرر لهذا التصرف عندما نرقب ابن عمـر الانسان وقد أخذته الحيرة والتردد بين أمرين: فهو أولاً بايع

---

(١) حلية الأولياء (١ : ٢٩٤).

(٢) أسد الغابة (٣: ٣٤٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣: ١٥٥).

علياً؛ والبيعة تلزمه بالسمع والطاعة. وهو ثانياً لا يُريد حمل السلاح لقتال المسلمين؛ وهو الذي اعتاد أن يحمله لقتال الكافرين؛ فلما اتضح له الأمر وهو أن علياً رضي الله عنه هو صاحب الأمر والحكم، وأن خصومه بغاة خارجون على حكمه وطاعته، أسف وندم على تركه القتال معه.

* * *

في حُكم بَني أميّة

- تمهيد
- حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح
- إلى الجهاد من جديد
- عقد البيعة ليزيد بن معاوية
- وفاء ابن عمر لبيعة يزيد.
- خلافة عبد الله بن الزبير
- بيعة ابن عمر لعبد الملك
- ابن عمر والحجاج
- منارة اتفاق وسلام

في حكم بني أميّة

تمهيد

بقيت الحرب قائمة بين علي ومعاوية بعد تفرق الحكمين ـ أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ـ دون التوصل إلى اتفاق؛ حتى كانت سنة أربعين وفيها استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيد عبد الرحمن بن ملجم الخارجي، ضربه بالسيف وهو خارج إلى صلاة الصبح فأصاب جبهته، وتوفي بعد يومين ولم يستخلف، وبايع أهل الكوفة الحسن ابن علي رضي الله عنهما، وبعد ستة أشهر رأى أن يحقن دماء المسلمين فاصطلح مع معاوية، وتنازل له عن الخلافة بشرط أن تكون له من بعده، فسمَّى الناس سنة إحدى وأربعين: عام الجماعة؛ لاجتماع كلمة المسلمين فيها على خليفة واحد، وتحققت كلمة النبي ﷺ في الحسن: «لعل الله أن يُصْلِحَ به بين فئتين عظيمتين مِنَ المسلمين»(١).

---

(١) جامع الأصول (٩: ٣٣)، وبهامشه رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين توفي الحسن بن علي رضي الله عنهما في خلافة معاوية، مما شجع معاوية على أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد، وقد تمت هذه البيعة سنة ست وخمسين.

وفي سنة ستين توفي معاوية رضي الله عنه بعد أن ملك تسعة عشر عاماً، وتولى الخلافة ابنه يزيد، وقد دامت خلافته أربع سنوات، وتوفي سنة أربع وستين هجرية.

وبعد وفاة يزيد بن معاوية بايع الناس في الشام ابنه معاوية، وبايع الناس في الحجاز عبد الله بن الزبير، وتوفي معاوية بن يزيد بعد أربعين يوماً من توليه الخلافة.

وكاد الأمر أن يخرج من بني أمية لولا اجتماعهم في الشام على بيعة مروان بن الحكم، وكانت ولايته عشرة أشهر؛ وتوفي سنة خمس وستين وبويع لابنه عبد الملك بعهدٍ منه، وبقي متغلباً على مصر والشام، ثم غلب على العراق إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين؛ فاستوثق له الأمر.

وقد أدرك عبد الله بن عمر زمن عبد الملك بن مروان، وهذا يدل على أنه عاش أكثر عصر بني أمية الذهبي؛ حيث كثرت الفتوحات واتسعت رقعة البلاد الخاضعة لحكمهم، وحيث تقلد الحكم خلفاء أقوياء استطاعوا أن يقضوا على خصومهم في الداخل بواسطة ولاة أشداء خدموهم بإخلاص، كزياد والحجاج.

وسنتابع مواقف ابن عمر في خضم هذه الأحداث الصاخبة والمتلاحقة؛ لنراه وقد التزم الطريق الأول، فلا تميل به الدنيا، ولا يميل بها، ويتذكر الجنة ونعيمها فيعرض عن مناصب الدنيا ومتعها الزائلة.

حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح

كان ابن عمر يحضر الاجتماعات الهادفة إلى توحيد الأمة وإيقاف القتال والقضاء على الفتنة، ويتحمل من أجل ذلك السفر الشاق، وهذا دليل على أنَّ موقفه لا يتسم بالسلبية والعزلة إلا إذا دعي إلى القتال وشهر السلاح. أما إذا دعي إلى حضور مجالس الاتفاق والصلح فيجيب ويسعى في تحقيق الخير والفلاح لأمته، وقد أوضح ابن عمر هذا الموقف بقوله: مَنْ قال: «حيّ على الصلاة» أجبته، ومن قال: «حي على الفلاح» أجبته، ومن قال: «حيّ على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله» فلا[1].

ففي سنة ٣٧ هـ كان اجتماع الحكمين وشهد جماعتهم تلك: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزوميّ، وعبد الرحمن بن عبد يغوث الزهريّ، وأبو جهم بن حذيفة العدوي، والمغيرة بن شعبة الثقفي[2].

---

(١) حلية الأولياء (١: ٣٠٩).

(٢) الطبري (٥: ٦٧).

وفي هـذا الاجتماع عُـرضت الخلافـة على ابن عمـر فرفضها؛ قال نافع: قال أبو موسى يوم التحكيم: لا أرى لهذا الأمر غير عبد الله بن عمر. فقال عمرو بن العاص لابن عمر: إنا نريد أن نبايعك، فهل لك أن تعطَى مالاً عظيماً على أن تدع هذا الأمر لمن هو أحرص عليه منك؟ فغضب ابن عمر فقام. فأخذ ابن الزبير بطرف ثوبه فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنما قال: تُعطِي مالاً على أن أبايعك، فقال ابن عمر: ويحك يا عمرو، قال عمرو: إنما قلت أجربك. قال: فقال ابن عمر: لا والله لا أعطي عليها شيئاً ولا أعْطَى، ولا أقبلها إلا عن رضى من المسلمين[١].

وقال الذهبي معلقاً على هذه الرواية: كادت أن تنعقد البيعة له يومئذ، مع وجود مثل الإمام علي وسعد بن أبي وقاص، ولو بويع لما اختلف عليه اثنان[٢].

وتفرق الحكمان دون اتفاق، وقام معاوية عشيةً[٣] في الناس، فأثنى على الله جلَّ ثناؤه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فمن كان متكلماً في هذا الأمر فليُطلع لنا قرْنَه، قال ابن عمر: فأطلقت حُبْوَتي، فأردت أن أقول قولاً: يتكلم فيه

---

(١) حلية الأولياء (١: ٢٩٣)، وسير أعلام النبلاء (٣: ١٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣: ١٥٥).

(٣) كان هذا بعد وصول معاوية إلى دومة الجندل بعد تفرق الحكمين.

رجال قاتلوا أباك على الإسلام، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرِّق الجماعة، أو يسفك فيها دم، أو أحمل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل في الجنان أحبَّ إليَّ من ذلك. فلما انصرفت إلى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلم؟ قلت: أردت ذلك ثم خشيت أن أقول كلمة تفرق بين جميع، أو يسفك فيها دم، أو أحمَل فيها على غير رأي، فكان ما وعد الله عز وجل من الجنان أحبَّ إليَّ من ذلك، قال: قال حبيب: فقد عُصِمْتَ[1].

وفي سنة ٤١ هـ حضر ابن عمر الصلح الذي تم بين الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية ـ رضي الله عنهم ـ فقد أخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: لما كان اليوم الذي اجتمع فيه الحسن بن علي ومعاوية رضي الله عنهما بدومة الجندل[2] قالت لي أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: إنه لا يجمُلُ بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد ﷺ، أنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب[3].

(١) تاريخ الطبري (٥: ٥٨ ـ ٥٩).
(٢) موضع بقرب تبوك له حصن عادي.
(٣) الطبقات (٤: ١٨٢).

إلى الجهاد من جديد

ولما كانت سنة ٤٩ هـ لبى ابن عمر دعوة معاوية إلى الغزو والجهاد في سبيل الله وعمره ستون سنة تقريباً؛ قال ابن كثير في التاريخ:

سنة ٤٩: فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية ومعه جماعات من سادات الصحابة منهم: ابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو أيوب الأنصاري. وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». فكان هذا الجيش أول من غزاها، وما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد[١].

فهنيئاً لابن عمر هذا الموقف المشرِّف؛ حيث تظهر طاعته لأولي الأمر، واندفاعه رغم تقدم السن وضعف الجسم للانضواء تحت لواء الجهاد والفتح، وهنيئاً له هذه المغفرة وقد استحقها وعداً صادقاً من رسول الله ﷺ.

عقد البيعة ليزيد

وفي سنة ٥٦ هـ دعا معاوية الناس إلى البيعة ليزيد ولده؛ ليكون الخليفة من بعده، وكتب إلى الآفاق بذلك، فبايع له الناس في سائر الأقاليم، إلا عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، والحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد

(١) البداية لابن كثير (٨: ٣٢)، والطبري (٥: ٢٣٢).

الله بن عباس، فركب معاوية إلى مكة معتمراً، فلما اجتاز بالمدينة ـ مرجعه من مكة ـ استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدده بانفراده، فكان من أشدهم عليه رداً وأجلدهم في الكلام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وكان ألينهم كلاماً عبد الله بن عمر بن الخطاب، ثم خطب معاوية وهؤلاء حضور تحت منبره، وبايع الناس ليزيد وهم قعود، ولم يوافقوا ولم يظهروا خلافاً لما تهددهم وتوعدهم، فاكتملت البيعة ليزيد في سائر البلاد[1]. وقال معاوية لعبد الله ابن عمر: إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راعٍ، فقال له ابن عمر: إذا بايعه الناس كلهم بايعته ولو كان عبداً مجدّع الأطراف[2].

وكان معاوية رضي الله عنه يعرف ابن عمر ويخبره ويصفه بالصلاح والفضل؛ فقد روى ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي قال: قال معاوية: يا أيها الناس ما أنا بخيركم وإنّ منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدرّكم حلباً[3].

وكان مما قاله معاوية لابنه يزيد في وصيته له وهو مريض

(١ و ٢) البداية لابن كثير (٨: ٧٩).

(٣) البداية لابن كثير (٨: ١٣٤)، وأدركم حلباً: أي أكثركم إعطاء للمال.

مرضه الذي مات فيه: وإني لست أخاف أن ينازعك في هذا الأمر غير نفر من قريش: الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير؛ فأما ابن عمر فإنه رجل وقذته العبادة[١]، وإذا لم يبق أحد غيره بايعك.

وفاء ابن عمر لبيعة يزيد

وقد ثبت أن ابن عمر بقي وفياً لبيعة يزيد فلم يغدر ولم ينقض العهد، ومعه في ذلك أهله؛ وبقي ثابتاً على هذا الوفاء رغم خلع أهل المدينة ليزيد بعد أن بلغهم موت معاوية؛ ففي كتاب الفتن من صحيح البخاري عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حشمه[٢] وولده فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة»، وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم أعظم من أن يُبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايع في هذا الأمر[٣]، إلا كانت الفيصل[٤] بيني وبينه[٥].

(١) أي سكنته العبادة، ومنعته من انتهاك ما لا يحل ولا يجمل.
(٢) خدمه ومن يغضب له.
(٣) وفي نسخة من البخاري: ولا تابع؛ والمراد: الدخول مع أهل المدينة في خلع يزيد.
(٤) الفيصل: الأمر القاطع بين الشيئين.
(٥) البداية لابن كثير (٨: ١٤٨).

وهذا كلام بيّنٌ يشهد على صحة بيعة يزيد، وعدم جواز خلعه. وقد دلت الحوادث التي وقعت بعد ذلك على سلامة موقف ابن عمر وسديد رأيه في التحذير من الغدر والفتنة وإراقة الدماء.

ولم يكتف ابن عمر بتهديد أهله وأولاده إن غدروا؛ بل سار إلى ابن مطيع ـ وقد ولاه أهل المدينة عليهم ـ يحذره من الفتنة ويسمعه حديث رسول الله ﷺ؛ روى مسلم عن نافع قال: لما خلعوا يزيد، واجتمعوا على ابن مطيع، أتاه ابن عمر، فقال عبد الله بن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال عبد الله بن عمر: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة، لقي الله يَوم القيامة ولا حجَّة له، ومن مات وليس في عُنقه بيعةٌ مات مِيْتةً جاهليَّة»[1].

ولنسمع ابن عمر وهو يعلل موقفه في الوفاء لبيعة يزيد فيما يقوله حميد بن عبد الرحمن: دخلنا على رجل[2] من أصحاب رسول الله ﷺ حين استخلف يزيد بن معاوية، فقال: تقولون إن يزيد بن معاوية ليس بخير أمة محمد، لا أفقهها فقهاً، ولا أعظمها فيها شرفاً، وأنا أقول ذلك. ولكن والله لأن تجتمع أمة محمد أحبُّ إليَّ من أن تفترق. أرأيتم

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) هو ابن عمر.

باباً دخل فيه أمة محمد ووسعهم، أكان يعجز عن رجل واحد لو كان دخل فيه؟ قلنا: لا. قال: أرأيتم لو أن أمة محمد قال كل رجل منهم لا أريق دم أخي ولا آخذ ماله، أكان هذا يسعهم؟ قلنا: نعم. قال: فذلك ما أقول لكم[1].

وعن محمد بن المنكدر قال: لما بويع يزيد بن معاوية فبلغ ذلك ابن عمر فقال: إن كان خيراً رضينا وإن كان بلاء صبرنا[2].

ولكن أهل المدينة لم يسمعوا هذا الكلام السَّداد، وأصروا على خلع يزيد، فأرسل لهم جيشاً بقيادة مسلم بن عُقْبة، وأمهلهم ثلاثة أيام، فأصروا أيضاً على الحرب فهزمهم عند الحَرَّة[3].

نصيحته للحسين

وعندما علم ابن عمر بمسير الحسين بن علي إلى العراق لحقه على مسيرة ثلاث ليالٍ، وكان بينهما هذا الحوار:

قال ابن عمر: أين تريد؟

---

(١) العواصم من القواصم (ص ٢٢٦).

(٢) الطبقات (٤: ١٨٢).

(٣) مكان يقع شرق المدينة.

قال الحسين: العراق ـ وإذا معه طوامير[1] وكتب ـ فقال: هذه كتبهم وبيعتهم.

فقال ابن عمر: لا تأتهم؛ فأبى.

فقال: إني محدثك حديثاً: إنّ جبريل أتى النبي ﷺ فخيَّره بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يُرد الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله؛ والله ما يليها أحد منكم أبداً؛ وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم.

فأبى الحسين أن يرجع.

قال: فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل[2].

وكان ابن عمر إذا ذُكر الحسين قال: غلبنا حسين بالخروج ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة[3].

خلافة ابن الزبير

بعد موت يزيد بن معاوية وابنه معاوية من بعده قريباً؛ استفحل أمر عبد الله بن الزبير، وبويع له بالخلافة في

---

(١) طوامير: صحف.

(٢) البداية (٨: ١٦٠) وتاريخ الخلفاء (ص ٢٠٦).

(٣) تاريخ الخلفاء (ص ٢٠٦).

الحجاز والعراق ومصر وخراسان وأكثر أهل الشام؛ ولكن مروان بن الحكم عارضه في ذلك وأخذ الشام ومصر من ولاة ابن الزبير، ثم جهز الجيش إلى العراق، ومات فتولى بعده عبد الملك ابنه، فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها، ثم بعث الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريباً من سبعة أشهر حتى ظفر به[١].

الإصرار على العزلة والحياد

بقي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ خلال هذه الفترة من خلافة ابن الزبير وحروبه مع بني أمية ـ محايداً يعتزل الفتن، ويدعو إلى صيانة دماء المسلمين، وينصح بالتزام الطاعة وعدم الاحتراب من أجل المناصب والملك.

فعن عاصم بن أبي النجود، أن مروان[٢] قال لابن عمر ـ بعد موت معاوية بن يزيد ـ: هلمَّ يدك نبايعك، فإنك سيد العرب وابن سيدها. قال: كيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: تضربهم حتى يُبايعوا. قال: والله ما أحبُّ أنها دانت لي سبعين سنة، وأنه قتل في سببي رجل واحد[٣].

وعن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبدالله بن عمر،

---

(١) باختصار من البداية لابن كثير (٨: ٢٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) هو مروان بن الحكم.

(٣) الطبقات (٤: ١٦٩).

فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة، والله يقول: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟! إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول على دينهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك[1].

وتتعدد الأسئلة وتتنوع عن سبب إصراره على الاعتزال والحياد، فكان يجيب بما يؤكد المثابرة على نهجه الأول والالتزام والطاعة لمبادىء دينه المثلى؛ أخرج البخاري عن نافع عن ابن عمر: أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرَّم دم أخي. قالا: ألم يقل الله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة[2] وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله.

وزاد عثمان بن صالح من طريق بكير بن عبدالله عن نافع؛ أن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما، فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وقد علمت ما رغَّب الله فيه؟ قال: يا ابن أخي، بني الإسلام على خمس: إيمان بالله

(١) رواه البخاري.

(٢) أي شرك.

ورسوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت. فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[1]. . . إلى أمر الله﴾ وقال: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يُفتن في دينه، إما قتلوه، وإما عذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. قال: فما قولك في علي وعثمان رضي الله عنهما؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه[2] وأما أنتم: فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما علي: فابن عم رسول الله ﷺ وختنه[3]، وأشار بيده فقال: هذا بيته[4] حيث ترون[5].

ولكن حياد ابن عمر هذا لم يمنعه من أن يقف أمام ابن الزبير وهو مصلوب عند ثنية الحجون بمكة؛ يسلم عليه ويصفه بما يعلم عنه من العبادة والتقوى، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي نوفل قال: رأيت عبد الله بن الزبير على

(١) أي أتم الآية إلى قوله تعالى: . . إلى أمر الله﴾.
(٢) وذلك حينما فر مع من فر يوم أحد وأنزل الله في شأنهم: ﴿ولقد عفا عنكم﴾.
(٣) ختنه: صهره.
(٤) أي بيته إلى جوار بيت النبي ﷺ.
(٥) رواه البخاري.

ثنية الحجون مصلوباً، فجعلت قريش تمر عليه والناس، حتى مَرَّ عليه عبد الله بن عمر، فوقف عليه فقال:

السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إنْ كنتَ ما علمت صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما والله لأمة أنت شرها لأمة خير.

ثم بعُدَ عبد الله بن عمر، فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال، فأرسل إليه فأنزله عن جذعه[١].

بيعة ابن عمر لعبد الملك

لما أجمع الناس على البيعة لعبد الملك بن مروان كتب إليه ابن عمر: أما بعد: فإني قد بايعت لعبد الملك أمير المؤمنين بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيما استطعت، وإن بنيَّ قد أقرّوا بذلك[٢].

وفي الطبقات عن ميمون بن مهران قال: كتب ابن عمر إلى عبد الملك بن مروان فبدأ باسمه؛ فكتب إليه: أما بعد: (فالله لا إلَهَ إلاَّ هُوَ لِيَجْمَعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه... إلخ الآية). وقد بلغني أن المسلمين اجتمعوا على البيعة لك، وقد دخلت فيما دخل فيه المسلمون والسلام[٣].

---

(١) البداية لابن كثير (٨: ٣٤٦) وقال: تفرد به مسلم.

(٢و٣) الطبقات (٤: ١٥٢).

وحاول بعض بطانة الخليفة أن يوغروا صدره على ابن عمر لأنه بدأ باسمه قبل اسم الخليفة؛ فعن حبيب بن أبي مرزوق قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان وهو يومئذ خليفة: من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان، فقال من حول عبد الملك: بدأ باسمه قبل اسمك، فقال عبد الملك: إنَّ هذا من أبي عبد الرحمن كثير؟![1].

وكان مما كتب به عبد الملك إلى الحَجَّاج بن يوسف ألا يخالف عبد الله بن عمر في الحج[2]؛ لما يعرف من فضله وفقهه.

ابن عمر والحجاج

بقي الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على مكة بعد مقتل ابن الزبير، وكان عبد الله بن عمر يترك المدينة ويأتي مكة حاجاً أو معتمراً، ويرى أو يسمع من أفعال الحجاج وأقواله المخالفة للشرع، فيأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، ويردُّ عليه بكل جرأة وشجاعة.

ولا شك أن الذي عصم ابن عمر من بطش الحجاج ـ وهو

---

(١) الطبقات (٤ : ١٥٢).

(٢) نسب قريش (ص ٣٥١).

يعلن كلمة الحق - هو إخلاصه لله تعالى، وغضبه لله لا لنفسه، ويؤكد هذا أن ردَّه على الحجاج ودفاعه عن خاصة نفسه كان رداً هادئاً، بعيداً عن القسوة والعنف، مدعماً بالحجة والمنطق السديد؛ فعن المطعم بن مقدام الصنعاني قال: كتب الحجَّاج إلى عبد الله بن عمر: بلغني أنك طلبت الخلافة، وإن الخلافة لا تصلح لِعَيِيٍّ[1] ولا بخيل ولا غيور.

فكتب إليه ابن عمر: أما ما ذكرت من أمر الخلافة أني طلبتها فما طلبتها وما هي من بالي، وأما ما ذكرت من العِيِّ والبخل والغَيرة، فإن من جمع كتاب الله عز وجل فليس بعَيِيٍّ، ومن أدى زكاة ماله فليس ببخيل، وأما ما ذكرت من الغَيرة فإن أحقَّ ما غرتُ فيه ولدي أن يشركني فيه غيري[2].

وأحياناً يسمع منه ما ينكره ويسكت حتى لا يذل نفسه؛ مهتدياً بأقوال النبي ﷺ. فعن ابن عمر قال: سمعت الحجاج يخطب فذكر كلاماً أنكرته فأردت أن أُغَيِّرَ، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قال: قلت: يا رسول الله كيف يذل نفسه؟ قال: «يتعرض من البلاء ما لا يُطيق»[3].

ويعود الحجاج ابن عمر في مرض موته، ويفاجأ من جرأته

---

(١) العيي: (بفتح العين) الذي يعجز عن إحكام النطق.

(٢) صفة الصفوة (١: ٥٦٧) وحلية الأولياء (١: ٢٩٣).

(٣) حياة الصحابة (٣: ٢٩٨ - ٢٩٩).

وصراحته وهو ينكر عليه أمره بحمله السلاح في الحرم وتسببه في إصابته؛ فعن عطية العوْفيّ، قال: سألت مولى لعبد الله ابن عمر عن موت عبد الله بن عمر، فقال: أصابه رجل من أهل الشام بزجّه في رجله، قال: فأتاه الحجاج يعـوده، فقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقه. فقال عبد الله: أنت الذي أصبتني، قال: كيف؟ قال: يوم أدخلت حرم الله السلاح[1].

وفي رواية أن ابن عمر قال بعد خروج الحجاج:

ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: ظمءُ الهواجر، ومكابدة الليل وألا أكون قاتلت هذه الفئة الباغية التي حلت بنا[2].

ولم يكتف الحجاج بمضايقة ابن عمر في آخـر حياته، والتسبب في وفاته، بل ضايقه بعد موته وغلبه على وصيته.

عن نافع قال: لما حضرت ابن عمر الوفاة أوصى أن لا يدفن في الحرم، وأن يُدفن خارجاً من الحرم، فغُلِبَ فدفن في الحرم وصلى عليه الحجاج[3].

(١و٢) الطبقات (٤ : ١٨٥).

(٣) الطبقات (٤ : ١٨٧). وكانت وصية ابن عمر هذه تأسياً برسول الله ﷺ، وقد مر إيضاح ذلك عند الكلام عن ذكريات الهجرة (ص ٢٨).

منارة اتفاق وسلام

وهكذا قُدّر لابن عمر أن يعيش أكثر من نصف عمره في حكم بني أمية وسط الأحداث الجسام، والسحب المظلمة والعواصف الهوجاء.

ولقد بقي رضي الله عنه كالطود الشامخ ثابتاً لا يتغير، ولا يبرح نهجه ولا يتخلى عن ورعه وزهده[١].

وينظر إلى قلبه يتفحصه؛ هل عراه من هذه الفتن الكثيرة، والأموال الوافرة والمناصب المغرية شيء؟! ويقول:

ما كنت بشيء من الإسلام أشد فرحاً من أن قلبي لم يشربه شيء من هذه الأهواء المختلفة[٢].

وتؤكد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا الالتزام والثبات فتقول: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله ابن عمر[٣].

ويدعو رجل من عامة الناس فيقول: اللهم أبق عبد الله بن عمر ما أبقيتني، أقتدي به فإني لا أعلم أحداً على الأمر الأول غيره[٤].

---

(١) عن كتاب رجال حول الرسول بتصرف يسير (١ : ١٢٩).

(٢) الطبقات (٤ : ١٥٩).

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٦٧).

(٤) الطبقات (٤ : ١٤٤).

ويقول آخر: ما أحد منا أدركته الفتنة إلا لو شئت لقلت فيه غير ابن عمر[1].

وكان الخوف من الله يعصمه، والخوف من مخالفة أصحابه الذين سبقوه يحفظه؛ فعن نافع قال: دخل ابن عمر الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك[2].

فلله دره لم تغلبه الأيام وقد ناف عمره على الثمانين، بل بقي وهو القوي الجريء صامداً على الحق، ومنارة عالية تضيء، وتهدي الناس إلى الاجتماع والسلام.

ولقد أدرك ابن عمر تغير النفوس، واتساع الأمصار وتنائيها، وتشعب الآراء وكثرة الاختلافات والاتجاهات، فأعلن العزلة والحياد، ورفض الخلافة والإمارة والقضاء، وتفرغ لنفسه يزكيها، وينمي فضائلها. وكان يطالب الناس بالسمع والطاعة وعدم الاقتتال من أجل الدنيا، ولو وجدت أقواله عند المسلمين أذناً صاغية؛ لعصموا دماءهم وأموالهم، ولبقيت سيوفهم تتوجه إلى أعدائهم بدل أن تتوجه إلى داخل صفوفهم. ولكنها المطامع والأهواء، والأمم المغلوبة التي اندحرت أمام جيوش المسلمين وقوتهم، فرأت أن تغيّر ميدان المعركة وتوجه سمومها القاتلة إلى الداخل، وقد كان منها السبيئة اليهودية والشعوبية الفارسية.

---

(١) الطبقات (٤ : ١٤٤).
(٢) صفة الصفوة (١ : ٥٦٦).

وَفَـــاتُـهُ

وأخيراً أراد الله تعالى لهذه النفس الزكية أن ينتهي مقامها في هذه الدنيا، وأن تهاجر إلى الله حيث اللقاء بمحمد ﷺ وصحبه، بعد أن أمضت في هذه الحياة الدنيا عمراً مديداً، مملوءة أيامه بجلائل الأعمال وفضائل الخصال ومكارم الأخلاق.

وقد كانت وفاته بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر، وهو ابن أربع وثمانين سنة، وذكر أن وفاته كانت في شهر ذي الحجة[1].

سبب الوفاة

حج ابن عمر ـ عام قتل ابن الزبير ـ مع الحجاج بن يوسف؛ وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج بن يوسف ألاّ يخالف عبد الله في الحج؛ فأتاه ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة، ومعه ابنه سالم، وصاح به عند سرادقه: «الرواح» فخرج عليه الحجاج في معصفرة؛ فقال: «هذه الساعة»؟ قال: «نعم»، قال: فأمهلني أصب عليّ ماء. قال فدخل ثم

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٨٠) والإصابة (٣: ٣٤٠).

خرج. قال سالم: فسار بيني وبين أبي، فقلت له: إن كنت تحب أن تصيب السنة، فعجل الصلاة، وأوجز الخطبة، فنظر إلى عبد الله ليسمع ذلك منه، فقال عبد الله: «صدق» ثم انطلق حتى وقف في موقفه الذي كان يقف فيه، فكان ذلك الموضع بين يدي الحجاج، فأمر الحجاج من نخس به حتى نفرت ناقته[1]، فسكنها ابن عمر، ثم ردها إلى الموضع الذي كان يقف فيه، فأمر الحجاج أيضاً بناقته فنخست، فنفرت بابن عمر، فسكنها حتى سكنت؛ ثم ردها إلى ذلك الموقف، فثقل على الحجاج أمره؛ فأمر رجلاً معه حربة ـ يقال إنها كانت مسمومة ـ فلما دفع الناس من عرفة، لصَق به ذلك الرجل، فأمرَّ الحربة على رجله، وهي في غرز رحله، فمرض منها أياماً، فمات بمكة ودفن بها، وصلى عليه الحجاج بن يوسف[2].

وهذه الرواية تصرح أنّ الحجاج قصد التخلص من ابن عمر وتعمد قتله، ولكن أكثر الروايات تؤكد أن الحجاج كان سبباً في الوفاة من طريق غير مباشر، وذلك لأنه أمر بحمل السلاح في موسم الحج في الحرم، وقد جاء هذا مصرحاً به على لسان ابن عمر أثناء مرضه عندما جاء الحجاج بن يوسف يعوده؛ قال سعيد بن العاص: دخل الحجاج يعود ابن عمر،

---

(١) لأن موقفه بين يدي الحجاج كان يعز عليه ويتضايق منه.

(٢) نسب قريش (ص ٣٥١).

وقد أصاب رجله، قال: كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن؟ أما إنا لو نعلم من أصابك عاقبناه، فهل تدري من أصابك؟ قال: أصابني من أمر بحمل السلاح في الحرم ولا يحل فيه حمله[1].

وقال ابن عمر عند الموت لابنه سالم: يا بني إن أنا مت فادفني خارجاً من الحرم، فإني أكره أن أدفن فيه بعد أن خرجت منه مهاجراً، فقال: يا أبت إن قدرنا على ذلك؟ قال: تسمعني أقول لك وتقول إن قدرنا على ذلك؟ قال: أقول: الحجاج يغلبنا فيصلي عليك. قال: فسكت ابن عمر[2].

وقال سالم: أوصاني أبي أن أدفنه خارجاً من الحرم، فلم نقدر فدفناه في الحرم بفخٍ في مقبرة المهاجرين[3].

(١) الطبقات (٤: ١٨٦).

(٢و٣) الطبقات (٤: ١٨٧ ـ ١٨٨).

حليتُه ولباسُه

حليته

كان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ رَبْعة[1] من الرجال، آدم[2]، له جُمّة[3] تضرب إلى منكبيه، جسيماً يخضب بالصفرة ويحفي شاربه[4].

وعن البراء قال: رأيت ابن عمر في السعي بين الصفا والمروة؛ فإذا رجل ضخم آدم[5].

وقال نافع: كان ابن عمر يصفّر لحيته، وكان يعفي لحيته إلا في حج أو عمرة[6]. وكان يقبض على لحيته ثم يأخذ ما

---

(١) ربعة: مربوع الخلق لا طويل ولا قصير.

(٢) آدم: أسمر.

(٣) جمة: مجتمع شعر الرأس.

(٤) البداية (٩: ٤).

(٥) الإصابة (٢: ٣٣٨).

(٦) سير أعلام النبلاء (٣: ١٣٧).

جاوز القبضة[1]. وعن عبد الله بن دينار قال: رأيت ابن عمر يحفي شاربيه[2].

وعن عبيد بن جريج، قلت لابن عمر: رأيتك تصفّر لحيتك، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصفّر لحيته. قلت: ورأيتك تلبس هذه النعال السبتية[3]، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبسها ويستحبها ويتوضأ فيها[4].

لباسه

وكان يأتسي برسول الله ﷺ في لباسه، ويلتزم بما أمره به من تقصير إزاره أو قميصه؛ تجنباً للكبر والخيلاء، حتى أصبح التقصير صفة ظاهرة في لباسه معروفة عنه؛ حدث يحيى بن عمير قال: رأيت سالم بن عبد الله وقف على أبي وعليه قميص مشمّر، فأمسك أبي بطرف قميصه ونظر إلى وجهه ثم قال: لكأنه قميص عبد الله بن عمر[5]. وعن موسى ابن دهقان قال: رأيت ابن عمر يتزر إلى أنصاف ساقيه[6]. وعن نافع عن ابن عمر؛ أنه اعتم وأرخاها بين كتفيه[7].

---

(١) الطبقات (٤: ١٨٧).

(٢) الطبقات (٤: ١٧٧).

(٣) النعال السبتية: الأحذية المصنوعة من الجلود المدبوغة ولا شعر عليها.

(٤) الطبقات (٤: ١٧٩).

(٥و ٦و٧) الطبقات (٤: ١٧٤ ـ ١٧٥).

والذي يلفت الانتباه في لباس عبد الله بن عمر إلى جانب حرصه على التقصير وعدم الزهو؛ هو تأسيه برسول الله ﷺ في النظافة وحسن المظهر؛ قال نافع: كان ابن عمر يغتسل لإحرامه، ولدخوله مكة، ولوقوفه بعرفة[1].

وقال: كان ابن عمر يدهن في اليوم مرتين[2].

وعنه؛ أن ابن عمر كان لا يروح إلى الجمعة إلا ادَّهَن وتطيّب، إلا أن يكون حراماً[3][4].

وعن ابن شهاب؛ أن ابن عمر كان يتطيب للعيد[5].

(١) الطبقات (٤ : ١٦١).
(٢) الطبقات (٤ : ١٥٧).
(٣) أي إلا أن يكون محرماً في الحج.
(٤) و(٥) الطبقات (٤ : ١٥٢).

أسـرته

لقد وجد ابن عمر في الجهاد والعلم والعبادة ما يصرف همته عن الزواج؛ ولكن أخته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها نصحته بالزواج، وأوضحت له أن ذلك يكسبه الأجر والدعاء؛ قال عمرو بن دينار: أراد ابن عمر ألا يتزوَّج فقالت له حفصة: تزوَّج فإن ماتوا أجرت فيهم، وإن بقوا دعوا الله لك[1].

فتزوج ورزق من الولد اثنا عشر وأربع بنات:

أبو بكر، وأبو عبيدة، وواقد، وعبدالله، وعمر، وحفصة، وسودة؛ وأمهم صفية[2] بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي[3].

---

(١) الطبقات (٤ : ١٧٠).

(٢) وهي أخت المختار الثقفي، وكان عبد الله لها محباً ومكرماً، وتوفيت في حياته، عن البداية (٨ : ٢٩٠).

(٣) أبو عبيد بن مسعود الثقفي، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، فلهذا لم يذكره أكثر الناس في الصحابة، وذكره ابن الأثير في أسد الغابة، وقد كان بعثه عمر في جيش كثيف في قتال الفرس سنة =

وعبد الرحمن وبه كان يُكْنى؛ وأمه أم علقمة المحاربية.

وسالم، وعبيد الله، وحمزة؛ وأمهم أم ولد (سرية).

وزيد، وعائشة؛ وأمهما أم ولد.

وبلال؛ وأمه أم ولد.

وأبو سلمة، وقلابة؛ وأمهما أم ولد.

ويقال: إن أم زيد بن عبد الله سهلة بنت مالك[1].

وها أنذا أترجم لذوي الشأن من أبنائه ممن ذكرت كتب التراجم والسير أسماءَهم.

عبد الله بن عبد الله

أبو عبد الرحمن المدني، روى عن أبيه، وعن أبي هريرة، وروى عنه ابنه عبد العزيز، ونافع مولاهم، ومحمد ابن عباد، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن أبي سلمة.

وكان وصي أبيه. قال وكيع: كان ثقة. وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال يزيد بن

= ثلاث عشرة، فقتل يومئذ شهيداً، وقتل معه أربعة آلاف من المسلمين. عن البداية (٨: ٢٨٩).

(١) طبقات ابن سعد (٤: ١٤٢) وسير النبلاء (٣: ١٦٠). وقد جمعت بين خبريهما.

هارون: كان أكبر ولد عبد الله بن عمر. وقال الزبير بن بكار: كان من أشراف قريش ووجوهها.

وقال ابن حجر: وصفية ـ أمه ـ كانت في عهد النبي ﷺ صغيرة، فيكون مولده بعد وفاة النبي ﷺ[١].

سالم

أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الله المدني الفقيه.

روى عن أبيه وأبي هريرة وأبي رافع وأبي أيوب.

قال سعيد بن المسيب: كان أشبه ولد عمرَ بعمرَ عبدُ الله، وأشبه ولدِ عبد الله بعبد الله سالم[٢].

وقال مالك: لم يكن في زمان سالم بن عبد الله أشبه من مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه[٣].

---

(١) تهذيب التهذيب (٥: ٢٨٦).

(٢) الطبقات (٤: ١٤٥).

(٣) في كتاب «الترغيب والترهيب»: أن الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل، فقال له سالم: أصليت الصبح؟ فقال الرجل: نعم. فقال له انطلق، فقال له الحجاج: ما منعك من قتله؟ فقال سالم: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من صلى الصبح كان في جوار الله يومه» فكرهت أن أقتل رجلاً أجاره الله. فقال الحجاج لابن عمر: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال ابن عمر: نعم.

وقال الأصمعي: عن ابن أبي الزنّاد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم القراء السادة: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والقاسم بن محمد ابن أبي بكر، وسالم بن عبد الله ـ وأمهاتهم سراري ـ ففاقوا أهل المدينة علماً وتقى وعبادة وورعاً، فرغب الناس حينئذ في السراري. وعن ابن المبارك: كان فقهاء المدينة سبعة فذكره فيهم. وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهَوْيه: أصح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة.

وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث عالياً من الرجال[١].

وكان أبوه يلام في حبه فيقول:

يلومونني في سالم وألومهم   وجلدة بين العين والأنف سالم[٢]

عبيد الله

أبو بكر، كان شقيق سالم. روى عن أبيه وأبي هريرة، وروى عنه ابنه القاسم والزهري. قال الواقدي: كان أسنَّ من عبد الله فيما يذكرون، وكان ثقة قليل الحديث، وقال أبو

---

(١) تهذيب التهذيب (٣: ٤٣٨).

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص ٨٠).

زرعة والنسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: مات قبل سالم. وقال العجلي: تابعي ثقة[1].

زيد

ذكره ابن حبان في الثقات، وذكره مسلم في الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وروى ابن أبي شيبة ما يدل على أنه ولد في عهد عمر؛ فإنه أخرج من طريق عمر بن محمد بن زيد عن أبيه عن جده؛ أنه لما ولد ألحقه عمر في مائة من العطاء[2].

حمزة

أبو عمارة، قال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وذكره ابن المديني عن يحيى بن سعيد في فقهاء أهل المدينة، وهو شقيق سالم[3].

بلال

كان أشج، وكان عبد الله بن عمر يقول له: يا بلال أترجو

(١) تهذيب التهذيب (٧: ٢٥).
(٢) تهذيب التهذيب (٣: ٤١٦ - ٤١٧).
(٣) تهذيب التهذيب (٣: ٣١).

أن تكون أشج بني عمر. فهلك وهو صغير[1] لا عقب له[2].

روى عن أبيه حديث: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله». قال أبو زرعة: مدني ثقة. وقال حمزة الكناني: لا أعلم له غير هذا الحديث. وذكره مسلم في الطبقة الأولى من المدنيين، وعدَّه يحيى القطان في فقهاء أهل المدينة، وذكره ابن حبّان في الثقات[3].

واقد

وأما واقد بن عبد الله بن عمر فوقع من بعير وهو محرم فهلك، فولد واقد عبد الله بن واقد وكان من رجال قريش[4].

سودة

وكانت عند عروة بن الزبير، وقد ثبت أن عروة خطبها وابن عمر في الطواف فسكت ولم يجبه، ثم تم زواجه منها في المدينة كما سيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن عبادة ابن عمر.

---

(١) لعله يريد شاباً.

(٢) المعارف (ص ٨٠).

(٣) تهذيب التهذيب (١ : ٥٠٤).

(٤) المعارف (ص ٨٠).

وهذه الأسماء التي سمّى بها عبد الله بن عمر أولاده كانت مقصودة ومنتقاة، فكان رضي الله عنه يسميهم بأسماء الصحابة الكرام، وهذا دليل محبة عبد الله لأصحاب رسول الله ﷺ وإعجابه بهم وتقديره لبطولاتهم وإحيائه لذكراهم.

قال سعيد بن المسيب: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري لم سميت ابني سالماً؟ قال: قلت: لا، قال: باسم سالم مولى أبي حذيفة، قال: فهل تدري لم سميت ابني واقداً؟ قال: قلت: لا، قال: باسم واقد بن عبد الله اليربوعي(١)، قال: هل تدري لم سميت ابني عبد الله؟ قال: قلت: لا، قال: باسم عبد الله بن رواحة(٢).

---

(١) واقد بن عبد الله اليربوعي من كبار الصحابة ـ سمى به عبد الله بن عمر ابنه واقداً ـ وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ مع عبد الله بن جحش في طلب عير قريش، عن أسد الغابة (٥: ٤٣٤).

(٢) الطبقات (٤: ١٥٩).

مَعَالِمُ شَخصِيَّتِهِ

- أسوته برسول الله ﷺ
- علمه
- جهاده
- عبادته
- خوفه من الله
- زهده وورعه
- جوده وكرمه
- تواضعه وحسن خلقه

مَعَالِمُ شَخصِيَّتِهِ

إن معالم شخصية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كثيرة وعظيمة، تجعله نموذجاً صادقاً لذلك الجيل الفريد الذي رباه رسول الله ﷺ على عينه.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن حياة هذا الصحابي الجليل في دقائقها وتفصيلاتها تطبيق عملي لمبادىء الإسلام وأخلاقه. «وهنا يكمن السر في انتصار محمد بن عبد الله ﷺ حيث صنع أصحابه رضوان الله عليهم صوراً حية من إيمانه، تأكل الطعام وتمشي في الأسواق، وصاغ من كل منهم قرآناً حياً يدب على الأرض، وجعل كل فرد نموذجاً مجسماً»[1].

ولقد رأينا ابن عمر خلال عمره المبارك الطويل طاقة من النور تشع؛ فتهدي الناس إلى الحق وإلى الخير، ولم يكن يدعو إلى الإسلام وإلى التأسي برسول الله ﷺ بلسانه أو بقلمه ـ كما يفعل أكثرنا اليوم ـ وإنما كان يترجم الدعوة والقدوة عملاً وسلوكاً.

---

(١) دراسات إسلامية لسيد قطب (ص ٢٥).

وعندما نبحث عن جذور هذه المعالم الواضحة في غير كرامة الأصل ونبل المَحْتِد، فإننا نجدها في الصحبة المبكرة لرسول الله ﷺ، وفي الحب والإعجاب الذي ربط بين عبد الله وأبيه عمر؛ فبقي طيلة حياته يحاكي أفعاله ويتشبه بفضائله، وفي الرفقة الطويلة لكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيما استفاده ابن عمر من خبرة الحياة وتجارب الأيام.

كل هذا جعل من حياة ابن عمر، شجرة مباركة ميمونة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؛ فكان متأسياً برسول الله ﷺ، وعالماً مجاهداً، وعابداً تقياً، وزاهداً ورعاً، وجواداً كريماً، ومتواضعاً حسن الأخلاق، يخاف الله ويخشاه، وقد عرف الصحابة والتابعون فضائله وشهدوا بها للتاريخ والناس.

أسوته برسول الله ﷺ

كان قول الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾، منهج حياة لابن عمر، ودليلاً قاطعاً له لإقامة الحجة على المتعلمين والمتفقهين في هذا الدين، واقتناعه بمدلول هذه الآية خالط قلبه وفكره وروحه، وحمله على اتباع آثار النبي ﷺ وأحواله والتشدد في ذلك؛ حتى في الأعمال الحياتية التي لا دخل لها في التشريع ولم نُؤمر باتباعها؛ فعن نافع أن ابن عمر كان يتبع آثار النبي ﷺ، فيصلي في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس(١).

وقال مجاهد: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر، فمر بمكان فحاد عنه، فسئل لم فعلت ذلك؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت(٢).

---

(١) حياة الصحابة (٢: ٦٥٥).

(٢) مسند أحمد (٢: ٤٠).

وعن نافع، أن ابن عمر كان في طريق مكة يقول برأس راحلته، يثنيها ويقول: لعل خفاً يقع على خف ـ يعني خف راحلة النبي ﷺ[1].

وأكدت عائشة تتبع ابن عمر لآثار النبي وانفراده بذلك فقالت: «ما كان أحد يتّبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر»[2].

وينقل نافع وغيره وصفاً لحاله وهو يتبع آثار النبي ﷺ، فيقول: «لو نظرت إلى ابن عمر رضي الله عنهما إذا اتبع أثر النبي ﷺ لقلت: هذا مجنون»[3].

وعن عاصم الأحول عمن حدّثه قال: «كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رآه أحد ظن أنّ به شيئاً من تتبعه آثار النبي ﷺ»[4].

وفي كتب الحديث والتراجم حوادث كثيرة تظهر أسوة ابن عمر برسول الله ﷺ، وهي ولا شك تدل على محبة ابن عمر لرسوله وقائده، وتدل على إيمانه وتقواه، وانفعاله بمبادىء هذا الدين وكل أمر فيه، وإلى القارىء الكريم بعض هذه الحوادث نذكرها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ قال عبد الله

---

(١) حلية الأولياء (١ : ٣١٠).

(٢) الطبقات (٤ : ١٤٥).

(٣و٤) حلية الأولياء (١ : ٣١٠).

ابن قيس بن مخرمة: أقبلت من مسجد بني عمرو بن عوف بقُباء على بغلة لي ـ قد صليت فيه ـ فلقيت عبد الله بن عمر ماشياً، فلما رأيته نزلت عن بغلتي ثم قلت: اركب أي عم، قال: أي ابن أخي، لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها، ولكني رأيت رسول الله ﷺ يمشي إلى هذا المسجد حتى يأتي فيصلي فيه، فأنا أحب أن أمشي إليه كما رأيته يمشي، قال: فأبى أن يركب ومضى على وجهه[1].

ورأى كثير بن جمهان ابن عمر يمشي في الوادي بين الصفا والمروة ولا يسعى فقال له؛ فقال: إن أسعَ فقد رأيت رسول الله ﷺ يسعى، وإن أمش فقد رأيت رسول الله ﷺ يمشي، وأنا شيخ كبير[2].

وفي البخاري: سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويُقبِّلُه، قال: أرأيت إن زُحِمْت؟ أرأيتَ إن غُلِبْـت؟ قال: اجعل «أرأيتَ» باليمن، رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويُقَبِّلُـهُ[3]. وكانت هذه الأسوة لرسول الله ﷺ تشمل الأقوال والأفعال، وكانت مبنية على فهم وعلم لتعاليم القرآن الكريم في الاقتداء بالرسول ﷺ؛ قال عبد الرحمن بن أمية بن عبد الله لابن عمر رضي الله

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١١٩).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٦١).

(٣) جامع الأصول (٣: ١٧٧).

عنهما: نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر؟ فقال ابن عمر: بعث الله نبيه ونحن أجفى الناس، فنصنع كما صنع رسول الله ﷺ[1].

وقيل لابن عمر: قول الله تعالى: ﴿وإذا ضربتم في سبيل الله فليس عليكم جُناحٌ... الآية﴾، فنحن آمنون لا نخاف فنقصر الصلاة؟ فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[2].

وروى الزهري عن رجل من آل خالد بن أسيد قال: قلت لابن عمر: إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل[3].

وكان يغضب ـ حتى من ولده ـ إذا لم يلتزم ويطع سنة النبي ﷺ؛ فعن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهنَّ خيرٌ لهن». قال: فقال ابن لعبد الله بن عمر: بلى والله لنمنعهنَّ[4]. فقال

(١ و ٢) حياة الصحابة (٢: ٦٥٦ ـ ٦٥٧).

(٣) المسند (٢: ٦٦).

(٤) قال الغزالي: وإنما استجرأ ـ عبيد الله ـ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان، وإنما غضب عليه ـ أبوه ـ لإطلاقه بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر. عن الإحياء (٢: ٤٨ ـ ٤٩).

ابن عمر: تسمعني أحدث عن رسول الله ﷺ وتقول ما تقول[1]. وفي رواية في المسند: فما كلمه عبد الله حتى مات[2].

(١) مسند أحمد (٢: ٧٦).
(٢) مسند أحمد (٢: ٣٦).

علمُه

عُرف ابن عمر بالعلم والفقه، وطول ملازمة النبي ﷺ، وحفظ القرآن الكريم وفهم آياته وأحكامه، وعاش طويلاً فاحتاج الناس إلى علمه وفقهه.

ويتحلى إلى جانب علمه النافع الغزير بالتواضع والورع والدقة، فلا يفتي إلا بما يعلم، ولا يقول برأيه، ولا يزيد في حديث رسول الله ﷺ ولا ينقص، ولا يجيب عما لم يقع. ولئن فاز غيره بالرياسة والملك، فقد فاز هو بمكانة العالم التقي الثقة، يتبادر الناس إلى سؤاله، ويتطلعون إلى أعماله، ويحفظون كلماته لا خوفاً ولا طمعاً، وإنما محبة خالصة لله، وهي منزلة أرفع وأسلم في الدنيا والآخرة وعند الله والناس، وكان ابن عمر يعرف محبة الناس له ويتحدث عنها؛ قال مجاهد: كنت مع ابن عمر فجعل الناس يسلمون عليه حتى انتهى إلى دابته، فقال لي ابن عمر: يا مجاهد؛ إن الناس يحبونني حباً لو كنت أعطيهم الذهب والورق[١] مازدت[٢][٣].

(١) الورق: الفضة.

(٢) أي ما زدت محبة عندهم.

(٣) الطبقات (٤: ١٦٨).

ويظهر علم ابن عمر من خلال حفظه للقرآن الكريم، وروايته للأحاديث، وفقهه وفتاواه، وأقواله التي أُثِرَت عنه.

حفظ القرآن الكريم

كان مسجد النبي ﷺ في المدينة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، وكان يُسمع له ضجة بتلاوة القرآن حتى أمر الرسول ﷺ أصحابه أن يخفِّضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا. وعبد الله بن عمر من طلاب هذه المدرسة الخالدة الملازمين لها ليلاً ونهاراً؛ إذ كان شاباً عزباً متفرغاً من مشاغل الحياة وأعبائها، ويجد من أستاذه رسول الله ﷺ ومن أبيه عمر كل تشجيع ومساعدة، فحفظ القرآن وعرضه على النبي ﷺ؛ ذكر السيوطي في كتابه «الإتقان» نقلاً عن كتاب «القراءات» المنسوب إلى أبي عبيد ـ القاسم بن سلّام ـ أسماء الذين جمعوا كتاب الله في صدورهم وعرضوه على النبي ﷺ، فكانوا بذلك تلامذة له، وكان شيخاً لهم، وعدَّ منهم العبادلة الأربعة، وهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم[١].

وقد مرَّ معنا أن ابن عمر قال في نفسه في ردِّه على الحجاج:

---

(١) انظر كتاب مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص ١٧٠).

«فإنّ من جمع كتاب الله عز وجل ليس بعيٍ . . .[1] الخ».

وكان يتعهد هذا الحفظ لكتاب الله، ويخشى على ما في صدره من آيات القرآن التفلت والنسيان، خاصة وهو الراوي لحديث النبي ﷺ: «إنما مَثَلُ صاحب القُرآنِ كمثلِ صاحب الإِبـلِ المُعَقَّلَةِ[2] إنْ عاهـدَ عليهاَ أمْسكها، وإنْ أطْلَقهـا ذَهبتْ»[3].

ولم يكن حفظه للقرآن الكريم بقصد الدراسة والثقافة والاطلاع، ولا بقصد التذوق والمتاع، وإنما كان القصـد والهدف تلقي أوامر القرآن والعمل بها في خاصة شأنه وشأن الجماعة[4]؛ ولذلك كان بطيئاً في تعلم الآيات التي يحفظها ويعمل بها؛ فقد روي أنه بقي أربع سنوات في تعلم سورة البقرة؛ أخرج ابن سعد عن ميمون، أن ابن عمر رضي الله عنهما تعلم سورة البقرة في أربع سنين[5].

---

(١) انظر تتمة الرد في صحيفة (١٠٩) من هذا الكتاب.

(٢) الإبل المعقلة: الممسوكة بالعقال، فصاحب الإبل المعقلة إن لازمها بقيت وإن تركها ذهبت، كذلك صاحب القرآن إن تعاهده بالتلاوة بقي له وإلا ذهب عنه ونسيه.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) انظر كتاب «معالم في الطريق» لترى أن هذا كان شأن الصحابة كلهم.

(٥) الطبقات (٤ : ١٦٤) وحياة الصحابة (٣ : ٧٤١).

رواية الحديث

اكتمل نور الوحي في علم ابن عمر وفكره وقلبه، فأضاف إلى تعلمه لكتاب الله تعالى روايته لحديث رسول الله ﷺ، فروى عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ بن جبل، ورافع بن خديج، وأبي هريرة، وعائشة.

وروى عنه: ابن عباس، وجابر، والأغر المزني[1] من الصحابة.

وروى عنه من التابعين بنوه: سالم، وعبد الله، وحمزة، وأبو سلمة[2] وحميد[3] ابنا عبد الرحمن، ومصعب بن

---

(١) «الأغر المزني»: صحابي روى عنه عبد الله بن عمر، ومعاوية بن قرة المزني. أسد الغابة (١: ١٢٤). روى عن النبي ﷺ حديث الاستغفار: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله مائة مرة» الغين: هو الغيم؛ أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر.

(٢) «أبو سلمة بن عبد الرحمن» قيل اسمه عبدالله، وقيل: إسماعيل، وقيل: اسمه كنيته، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المدنيين وقال: كان ثقة فقيهاً كثير الحديث. وقال ابن حبان في الثقات: كان من سادات قريش.

(٣) «حميد بن عبد الرحمن» بن عوف الزهري المدني تابعي ثقة.

سعد[1]، وسعيد بن المسيب[2] وأسلم[3] مولى عمر، ونافع[4] مولاه، وخلق كثير.

قال النووي: واعلم أن ابن عمر أحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ وهم: أبو هريرة، ثم ابن عمر،

---

(١) «مصعب بن سعد» بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال: كان ثقة كثير الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) «سعيد بن المسيب» القرشي المخزومي، قال نافع عن ابن عمر: هو والله أحد المتقين؛ وروى أنه كان إذا سئل عن شيء يقول: «سلوا سعيد بن المسيب» وعن ميمون بن مهران قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهل المدينة، فدفعت إلى سعيد بن المسيب وقال قتادة: ما رأيت أعلم بالحرام والحلال منه. وقال سليمان بن موسى: كان أفقه التابعين. وقال العجلي: كان رجلاً صالحاً فقيهاً، وكان لا يأخذ العطاء وكانت له بضاعة يتجر بها في الزيت.

(٣) «أسلم مولى عمر» من سبي اليمن، قال ابن إسحاق: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة، فأقام للناس الحج، وابتاع فيها أسلم وهو من الحبشة. أدرك النبي ﷺ ولم يره.

(٤) «نافع المديني» من أئمة التابعين بالمدينة، كان علامة في فقه الدين متفقاً على رياسته، كثير الرواية للحديث، ثقة لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه، وهو ديلمي الأصل مجهول النسب، أصابه عبد الله ابن عمر صغيراً في بعض مغازيه ونشأ في المدينة.

ثم أنس، وابن عباس، وجابر، وعائشة[1].

وقد ساعد ابن عمر على الإكثار من الرواية تقدم إسلامه، وطول عمره، ومخالطته للرسول ﷺ؛ فقد كانت أخته حفصة زوج النبي ﷺ، فسهَّل ذلك عليه دخوله وخروجه على الرسول الكريم[2].

فروى عنه (٢٦٣٠) حديثاً، أخرج له الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ (٢٨٠) حديثاً، اتفقا على (١٦٨) حديثاً منها، وانفرد البخاري بـ (٨١) حديثاً، ومسلم بـ (٣١) حديثاً، وأحاديثه في الكتب الستة والمسانيد وسائر السنن[3].

وكان الناس يحرصون على لقيا ابن عمر ومجالسته لسماع ما عنده من حديث رسول الله ﷺ؛ لقلة ما يحدِّث، ولعنايته بالحديث فلا يزيد فيه ولا ينقص؛ فعن الشعبي قال: جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ شيئاً[4]. وعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحدٌ أحذَرَ إذا سمع من رسول الله ﷺ شيئاً ألا يزيد فيه ولا ينقص منه من عبد الله بن عمر[5]. وقال

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٨٠).
(٢) السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب (ص٤٧١).
(٣) خلاصة تذهيب الكمال (ص ٢٠٧).
(٤) الطبقات (٤ : ١٤٥).
(٥) الطبقات (٤ : ١٤٤).

إسحاق بن سعيد: ما رأيت أحداً أشد اتِّقاء للحديث عن رسول الله ﷺ من ابن عمر[1].

ونقل ابن حجر، أن ابن عمر كان يتَحفَّظ[2] ما سمع من رسول الله ﷺ[3].

وكان يشير في حديثه إلى مراقبته لفعل النبي ﷺ للتأكيد على مداومته ﷺ لذلك الفعل؛ فيقول:

رمقت رسول الله ﷺ شهراً، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ أخرجه الترمذي.

أصح الأسانيد

قال البخاري: أصح الأسانيد مطلقاً: مالك، عن نافع، عن ابن عمر. ويسمى هذا الإسناد مسبك الذهب[4].

قال أبو منصور التميمي: فعلى هذا أصحها: الشافعي، عن مالك، عن نافع، عن ابنِ عمر؛ لإجماع أهل الأحاديث وغيرهم على أن الشافعي أجلّ الرواة عن مالك[5]

(١ و٢) الإصابة (٣: ٣٢٠).
(٣) يتحفظ: أي كان يحترز في حفظه للحديث فلا يزيد ولا ينقص.
(٤) ويعرف بسلسلة الذهب.
(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١: ٢٨٠).

نماذج من مروياته

وهذه بعض الأحاديث التي رواها ابن عمر عن رسول الله ﷺ، توخيت من اختيارها إظهار ثلاثة أمور:

أ ـ عناية ابن عمر ودقته في رواية الحديث.
ب ـ اقتران الرواية عنده بالعمل والتطبيق.
ج ـ تلقي المسلمين لهذه الأحاديث بالقبول واشتهارها بينهم.

١ ـ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إلّه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»(١).

وفي رواية: بني الإسلام على خمسة: أن يُوحَّدَ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحجّ» فقال رجلٌ: «الحج وصيام رمضان»؟ قال: لا «صيام رمضان والحج» هكذا سمعته من رسول الله ﷺ(٢).

٢ ـ وعنه قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعت ـ أو قال ـ استطعتم»(٣).

(١و٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

٣ ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبَّ أو كره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[١].

٤ ـ وعنه قال لرجل أراد سفراً: هلم أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»، قل قبلت ورضيت، ثم قال: قل لي مثل ما قلت لك، ففعل[٢].

٥ ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا».

وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه[٣].

٦ ـ وعن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»[٤].

٧ ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) رواه البخاري (٩: ٥٤).

الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[1].

٨ ـ وعنه، أن النبي ﷺ قال: «كم من عاقل عقل عن الله تعالى أمره، وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً، وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك غداً يوم القيامة»[2].

٩ ـ وعنه قال: أتى علينا زمان وليس أحد أحق بديناره ولا بدرهمه من أخيه المسلم، حتى كان حديثاً. ولقد سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا ضنَّ[3] الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة[4]، واتبعوا أذناب البقر[5]، وتركوا الجهاد في سبيل الله عز وجل، أدخل الله عليهم ذلاً ثم لا ينزعه عنهم حتى يراجعوا دينهم»[6].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، الآناء: الساعات.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (١: ٣١٣).

(٣) ضن: بخل.

(٤) العينة: هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمى، ثم يشتريها بأقل من السعر الذي باعها به، وهي حرام لأنها احتيال ظاهر لأكل الربا.

(٥) أي عملوا في الزراعة وتركوا الجهاد.

(٦) حلية الأولياء (١: ٣١٤).

فقهه وفتاواه

احتاج المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ إلى فقه الصحابة الذين عُرفوا بالعلم، وملازمة النبي ﷺ، وحفظ القرآن، ورواية الحديث؛ ليفتوهم في وقائع حياتهم المستجدة؛ وليبينوا لهم مبادىء الإسلام وعباداته، ولينقلوا لهم سنة النبي ﷺ.

وعبد الله بن عمر كان شاباً متفرغاً للجهاد في سبيل الله وتحصيل العلم في صحبة النبي ﷺ، وبقيت هذه خطته في حياة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وبعد الفتنة الأولى ـ التي استشهد فيها عثمان ـ تفرغ تقريباً للعلم والعبادة، وبقي حتى احتاج الناس إلى علمه وفقهه في الدين؛ فعن زياد بن ميناء قال: كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر ابن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة بن الأكوع، وأبو واقد الليثي، وعبد الله بن بُحَينَة، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ﷺ يفتون بالمدينة، ويحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفي عثمان إلى أن تُوفوا، والذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله[1].

---

(١) حياة الصحابة (٣: ٧٨٧).

ولكن ابن عمر كان قليل الفتيا بالنسبة لغيره من الصحابة، والسبب أنه لا يقول برأيه، ويخشى أن يخالف أصحابه الذين سبقوه؛ مما أدى إلى القول: «عبد الله بن عمر جيد الحديث غير جيد الفقه»[1].

ويوضح نافع مولى ابن عمر الفرق بين تصدي ابن عباس للفتيا وإحجام ابن عمر عنها فيقول: كان ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يجلسان للناس عند قدوم الحاج، فكنت أجلس إلى هذا يوماً وإلى هذا يوماً، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما سُئل عنه، وكان ابن عمر يرد أكثر مما يفتي[2].

وكان ابن عمر يخاف أن يجتهد في فتياه فيخطىء. وعلى الرغم من أنه يحيا وفق تعاليم دين عظيم؛ يجعل للمجتهد المخطىء أجراً وللمصيب أجرين، فإن ورعه كان يسلبه الجسارة على الفتيا[3]؛ فعن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، قال: فقال له: ـ يرحمك الله ـ أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألوننا عنه، اتركنا ـ يرحمك الله ـ حتى

(١) أسد الغابة (٣: ٣٤٢).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣: ١٤٧).
(٣) رجال حول الرسول (١: ١٢٠).

نتفهم في مسألتك؛ فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك بأنه لا علم لنا به[1].

وعن عقبة بن مسلم، قال: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً، فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إليّ فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم[2].

وقول ابن عمر للسائل «لا أدري» أو «لا أعلم»؛ علمٌ ولا شك؛ وشجاعة تدعو إلى الإعجاب والتقدير؛ فعن مجاهد قال: سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن فريضة من الصلب فقال: لا أدري، فقيل له: ما يمنعك أن تجيبه؟ فقال: سئل ابن عمر عما لا يدري فقال: لا أدري[3].

وعن عروة قال: سئل ابن عمر عن شيء فقال: لا علم لي به، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال: لا علم لي به[4].

وعن ابن عمر قال: إليكم عني فإني كنت مع من هو أعلم مني، ولو علمت أنني أبقى حتى تفتقروا إليَّ لتعلمت لكم[5].

(١و٢) حياة الصحابة (٣: ٧٢٢).

(٣و٤) حياة الصحابة (٣: ٧٢١).

(٥) سير النبلاء (٣: ١٦٠). وفي الطبقات حتى تقتضوا (٤: ١٤٥).

وأهم ما يستوقف الإنسان في فقه ابن عمر وفتاواه هو إجابته على الأسئلة التي توجّه إليه بأخبار ووقائع من حياة النبي ﷺ وحياة أصحابه، مكتفياً بذلك الدليل عن المصطلحات الفقهية، وهو أسلوب يروق للكثير من الناس في عصرنا الحاضر؛ فقد أخرج الترمذي عن جبلة بن سحيم، أن رجلاً سأل ابن عمر عن الأضحية أواجبة هي؟ قال: ضحى النبي ﷺ والمسلمون. فأعادها، فقال: أتعقل؟! ضحى النبي ﷺ والمسلمون.

وعن زياد بن جبير قال: رأيت رجلاً جاء ابن عمر فسأله فقال: إنه نذر أن يصوم كل يوم أربعاء، فأتى ذلك على يوم أضحى أو فطر، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: أمر الله بوفاء النذر، ونهانا رسول الله ﷺ عن صوم يوم النحر(١).

وإذا سئل وأجاب من اجتهاده وفهمه ثم تذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ في موضوع السائل نفسه؛ تمنى أن يصحح للسائل ما أجابه به؛ فعن إسماعيل بن عبيد قال: قلت لابن عمر: أطول الركوع أفضل في الصلاة أم طول السجود؟ قال: يا ابن أخي! خطايا الإنسان في رأسه وإن السجود يحط الخطايا(٢). وأخرج ابن نصر من حديث ابن عمر: أما إني لو عرفته (أي السائل) لأمرته أن يكثر الركوع والسجود؛ فإني

(١) مسند أحمد (٢ : ٢).

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص ٤٥٧).

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة أُتي بذنوبه كلها فوضعت على عاتقه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه»(١).

وكان من منهج ابن عمر الصحابي الفقيه عدم الإجابة عما لا يقع، وهو منهج عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأبي ابن كعب، وعمّار بن ياسر رضي الله عنهم(٢)، وهو منهج واقعي يبتعد بالفقه من أن يصبح فقه أوراق(٣) مبنياً على الإكثار من الفرضيات، وهذه متاهة عرفها الفقه الإسلامي فيما بعد، وأضاع فيها الفقهاء الجهد والوقت، وملأوا الحواشي والهوامش في فرضيات خيالية بعضها مستحيل الوقوع.

أقواله

وأقوال الإنسان مرآة نفسه، وإعلان صريح عن مواقفه ومبادئه وأخلاقه، وحصيلة لإيمانه وتجاربه وثقافته، ولقد تفجرت ينابيع الإيمان في قلب ابن عمر وعلى لسانه، وتربّى في مدرسة القرآن فلا ينطق إلا بالحكمة ولا يقول إلا الحق، وتأثر بفصاحة الرسول ﷺ، وروى إلى جانب الأحاديث

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص ٤٥٧).
(٢) حياة الصحابة (٣/٧٣٧).
(٣) انظر الفرق بين «فقه الحركة» و«فقه الأوراق» في كتاب فقه الدعوة (ص ٨٣).

النبوية العديد من كلمات الصحابة وخطبهم ومـواعظهم، وخاصة ما نقله عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتعظم قيمة أقوال ابن عمر وتدخل إلى القلوب وتؤثر في النفوس، لأنها قد ترجمت فعلاً إلى عمل وواقع وسلوك، وسنجد في كل كلمة من كلماته ما سبق وعرفناه من سيرته وأعماله.

وهذه نماذج من أقواله في مجالات مختلفة؛ انتقيتها بقصد العبرة والعظة، والتأكيد على توافق العمل مع القول لديه.

قوله في صفة الصحابة

مـن كان مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبـاً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدي المستقيم والله رب الكعبـة[١]. وسئل ابن عمر: هـل كل أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبـال[٢].

---

(١) حلية الأولياء (١: ٥ ـ ٦).

(٢) حلية الأولياء (١: ٣١١).

قوله في الفتنة

إنمـا مثلنا في هذه الفتنة كمثل قوم كانوا يسيرون على جادة يعرفونها، فبينما هم كذلك؛ إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضهم يميناً وشمالاً فأخطأ الطريق، وأقمنا حيث أدركنا ذلك، حتى جلّى الله ذلك عنا فأبصرنا طريقنا الأول، فعرفنا وأخذنا فيه، إنما هؤلاء فتيـان قريش يقتتلون على هـذا السلطان وعلى هذه الدنيا، ما أبالي أن لا يكون لي ما يقتل بعضهم بعضاً عليه بنعليّ هاتين الجرداوين[1][2].

لـو اجتمعت علي الأمة إلا رجلين ما قاتلتهمـا[3].

لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلـب[4].

حديثه عن نفسه

لـو وضعت أصبعي في خمر ما أحببت أن تتبعنـي[5].

وكتب إليه عبد العزيز بن مروان: أن ارفع إليّ حاجتك، قال: فكتب إليه عبد الله بن عمر: إنـي سمعت رسول

---

(١) الجرداويـن: الباليين.

(٢) حلية الأولياء (١: ٣١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣: ١٦١).

(٤) الطبقات (٤: ١٤٩).

(٥) حلية الأولياء (١: ٣٠٧).

الله ﷺ يقول: «ابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى» وإني لأحسب اليد العليا المعطية والسفلى السائلة، وإني غير سائلك شيئاً، ولا راد رزقاً ساقه الله إليَّ منك[1].

وقال: كففت يدي فلم أندم والمقاتل على الحق أفضل[2].

أقواله في الزهد والورع

يا ابن آدم، صاحب الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمك، فإنك موقوف على عملك، فخذ مما في يديك لما بين يديك، وعند الموت يأتيك الخبر[3].

وقال مجاهد: كنت أمشي مع ابن عمر على خربة فقال: قل: يا خربة ما فعل أهلك؟ فقلت: يا خربة، ما فعل أهلك؟ فقال ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالهم[4].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢ : ١٥٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣ : ١٤١).

(٣و٤) الحلية (١ : ٣١٢).

(٥) إحياء علوم الدين (٢ : ٩٢).

أقواله في العلم والعبادة والعمل

كتب رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما يسأله عن العلم، فكتب إليه ابن عمر:

إنك كتبت تسألني عن العلم؛ فالعلم أكبر من أن أكتب إليك به، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كافّ اللسان عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، لازماً لجماعتهم، فافعل[١].

وقال: العلم ثلاثة أشياء: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري[٢].

وقال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسد من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً[٣].

وقال: لقد عشت برهة من دهري، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، ما يدري ما

---

(١) سير لنبلاء (٣: ١٤٨).

(٢) حياة الصحابة (٣: ٦٤٩).

(٣) حلية الأولياء (١: ٣٠٦).

آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، وينثره نثر الدقل[1][2].

وعن آدم بن علي عن ابن عمر قال: إن أناساً يدعون يوم القيامة المنقوصين. فقال وما المنقوصون؟ قال ينقص ـ أو ينتقص ـ أحدهم صلاته بالتفاته، ووضوئه[3].

وسئل عن (لا إله إلا الله) هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل، فقال ابن عمر: عَشّ ولا تغتر[4].

وقيل له: إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول، فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ[5].

ومن جميل كلامه

لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً[6].

خذوا بحظكم من العزلة[7].

---

(١) الدقل: رديء التمر.

(٢) حياة الصحابة (٣: ٦٦٣).

(٣و٤) حلية الأولياء (١: ٣١١) و «عش ولا تغتر» من أمثال العرب يريد اعمل الصالحات ولا تهملها وتتكل على الإيمان؛ فإن الإيمان عقيدة وعمل. عن هامش كتاب أخبار عمر للطنطاوي (ص ٥٨٣).

(٥) إحياء علوم الدين (٣: ١٥٥).

(٦) حلية الأولياء (١: ٣٠٦).

(٧) الطبقات (٤: ١٦٦).

لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعد الناس حمقى[1] في دينه[2].

أحق ما طهّر العبد لسانه[3].

من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه[4].

البر شيء هين: وجه طلق، وكلام لين[5].

اتقوا من تبغضه قلوبكم[6].

ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، وإنما الشح أن يطمع فيما ليس له[7].

أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي[8].

أبغض عباد الله إلى الله كل طعّان لعّان[9].

● ● ●

---

(١) حمقى في دينه: أي حتى يعتبر الناس قليلي عقل لإيثارهم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

(٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٦).

(٣) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧).

(٤) إحياء علوم الدين (٢ : ٩٥).

(٥) أسد الغابة (٣ : ٣٤٣).

(٦) أخيار عمر للطنطاوي (ص ٥٧٧).

(٧و٨) أخبار عمر للطنطاوي (ص ٥٧٧).

(٩) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص ٢٣٧).

جهَـــادُه

الجهاد في سبيل الله فريضة إسلامية، وعبادة أمر الله المسلمين بها؛ كما أمرهم بالصلاة وسائر العبادات؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم...﴾[1].

ولقد استجاب ابن عمر لأمر الله، وعرف عظيم أجر المجاهدين؛ فأوتي القوة في الجهاد.

وحُقّ لمن كان أبوه بطلاً من أبطال الإسلام، وأستاذه قائد الأبطال، أن يتقدم راغباً في الجهاد وهو لا يزال غض الشباب لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره، وقد تقدم كيف رده الرسول ﷺ مرتين في بدر وأحد رحمة به وإشفاقاً عليه، وكان النبي ﷺ يحقق لابن عمر وأقرانه من الصغار بعض رغبتهم في الجهاد؛ فيكلفهم بحراسة الذرية في المدينة كتدريب أولي على تحمل المسؤولية وحمل السلاح؛ فعن عروة قال:

(١) سورة الحج: ٧٧ ـ ٧٨.

. . . وردّ رسول الله ﷺ نفراً يوم أحد استصغرهم، منهم: أسامة بن زيد، وابن عمر، والبراء، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وجعلهم حرساً على الذرية[1].

وتعلم ركوب الخيل والسباق عليها تدريب لا بد منه قبل الانضواء تحت رايات الجهاد، فكان ابن عمر ممن يسابق على الخيل أمام رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج البخاري في الجهاد عن عبد الله بن عمر قال:

سابق رسول الله ﷺ بين الخيل التي قد ضُمِرَتْ فأرسلها من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدها مسجد بني زريق. وكان ابن عمر ممن سابق فيها، وفي رواية مسلم: قال ابن عمر: فكنت فيمن أجرى، فطفف[2] بي الفرس المسجد[3].

وبعد أن أتم الخامسة عشرة شهد الخندق وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ. وشهد في عهد الخلافة الراشدة اليرموك، وفتح مصر، وفتح أفريقية[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣: ١١١).
(٢) أي وثب بي حتى كاد يساوي المسجد.
(٣) جامع الأصول (٥: ٣٨).
(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١: ٢٧٩).

وسجل لنا المؤرخون وأصحاب السير أن ابن عمر قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازياً[1]، وروى نافع مولاه صوراً من البطولة والمشاق التي وقعت له في غزوه في تلك البلاد فقال:

إن ابن عمر بارز رجلاً في قتال أهل العراق فقتله وأخذ سلبه [2].

وقال: لما غزا ابن عمر نهاوند أخذه ربوٌ فجعل ينظم الثوم في الخيط ثم يجعله في حسوه فَيَطْبَخُهُ، فإذا أخذ طعم الثومِ طرحه ثم حساه [3].

وقد مرَّ أنه غزا مع يزيد بن معاوية عام تسع وأربعين هجرية؛ ليسهم في الغزو شيخاً بعد أن أسهم فيه بنصيب وافٍ شاباً وكهلاً.

وكان ابن عمر في جهاده قد تعلم من كتاب الله ومن هدي رسول الله ﷺ؛ أن تحقيق النصر في جهاد الأعداء مشروط بتحقيق جهاد الأنفس، والتزام الطاعات وقهر الشهوات، وليتنا اليوم نعي هذا الدرس من ابن عمر لرجلٍ متحمسٍ للقتال؛ فعن عبد الله بن عمر؛ قال له رجلٌ: أريد أن أبيع نفسي من الله، فأجاهدَ حتى أقتل، فقال: ويحك، وأين الشروط؟ أين

(١و٢) سير أعلام النبلاء (٣: ٧ (١).

(٣) الطبقات (٤: ١٥٦).

قوله تعالى: ﴿التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله، وبشر المؤمنين﴾[1].

وعندما حدثت الفتن والحروب بين المسلمين اعتزل ابن عمر القتال، وتفرغ للعلم والعبادة، وترك المنازعة في الخلافة؛ مع كثرة ميل أهل الشام إليه ومحبتهم له[2]. وهذا من الجهاد الأكبر الذي انتصر فيه على نفسه، فوصفه العلماء بالشجاعة والبطولة.

● ● ●

---

(١) سورة التوبة: ١١٢ ويريد ابن عمر بالشروط ما ذكره من التوبة والعبادة والحمد، وباقي الأشياء التي عدها في الآية. جامع الأصول (٢: ٥٨٠ - ٥٨١).

(٢) أسد الغابة (٣: ٣٤٢).

عبَـــادتـــه

وإذا كانت مهمة الإنسان الأولى في هذه الحياة هي عبادة الله تعالى؛ فإن عبد الله بن عمر كان يقوم بهذه المهمة حتى آخر أيام حياته على أكمل وجه، يحرص على قيام الليل وصلاة الجماعة، ويسرد الصوم[1] ولا يفطر إلا في السفر، ويحج في كل عام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكثر من الدعاء؛ حتى عرفه الناس العابد التقي والمثابر الأوَّاب. ولم يغتر بما حضره من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ولا بالمعارك والفتوح التي خاضها مجاهداً في سبيل الله؛ بل عُرف بالمثابرة التي لا تعرف الكلل، وكان يعلم الناس متابعة العمل الصالح وعدم الاتكال والغرور؛ فعن معبد الجهني قال: قلنا لعبد الله بن عمر: رجل لم يدع من الخير شيئاً إلا عمل به، إلا أنه كان شاكاً في الله عزَّ وجلّ؟ قال: هلك البتة. قلت: فرجل لم يدع من الشر شيئاً إلا عمل به إلَّا أنه

(١) يسرد الصوم: أي يواليه ويتابعه.

كان يشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: عَشٍ ولا تغتر[1].

ويطيب لنا أن نعيش مع ابن عمر بأرواحنا وقلوبنا، نرقبه عن قرب في صلاته وحجه، ونقرأ عن صومه ودعائه، ونرافقه وهو يخالط الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعلمهم بالقول والعمل سنة النبي ﷺ.

صلاته

الصلاة صلة بين الإنسان وخالقه، يقف فيها المسلم بين يدي ربه يناجيه ويدعوه، ولذلك كان ابن عمر يستشعر عظمة هذا اللقاء مع الله، فيسير إلى الصلاة بكل سكينة ووقار، ويتحرى القبلة بوجهه وكفيه وقدميه.

فعن زيد بن عبد الله الشيباني قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما إذا مشى إلى الصلاة دبَّ دبيباً؛ لو أن نملة مشت معه قلت: لا يسبقها[2].

وعن طاووس قال: ما رأيت مصلياً مثل ابن عمر أشد استقبالاً للقبلة بوجهه وكفيه وقدميه[3].

---

(١) حلية الأولياء (١: ٣٠١). ومر في الصحيفة ١٥٧ تفسير عبارة (عش ولا تغتر).

(٢) الطبقات (٤: ١٥٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣: ١٥٨) والحلية (١: ٣٠٤).

وعن واسع بن حبان قال: كان ابن عمر يحب أن يستقبل كلُّ شيء منه القبلة إذا صلى، حتى كان يستقبل بإبهامه القبلة[1].

وكان يُحضِر قلبه ويستجمع فكره في صلاتـه لتحصيل الخشوع، فلا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعه ولا كتاباً إلا محاه[2]. وفي السجود حيث يكون العبد أكثر قرباً من ربه، يُسمع عبد الله بن عمر يدعو دعاء العبد الشاكر المنيب؛ عن أبي بُردة قال: صليت إلى جنب ابن عمر، فسمعته حين سجد وهو يقول: اللهم أجعلك أحبَّ شيء إلي، وأخشى شيء عندي. وسمعته يقول في سجوده: ربِّ بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين[3].

ويحدثنا ابن عمر عن خوفه من الله وعن رجائه منه بعد كل صلاة فيقول: مـا صليت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا أرجو أن تكون كفـارة[4].

وينقل لنا نافع وصفاً دقيقاً لعمل ابن عمر اليومي، فلا نجـد ما يشغله إلا الصـلاة، وقضـاء حـوائجـه، والـولاء

---

(١) الطبقات (٤ : ١٥٧). وتشدد ابن عمر ظاهر في هذا الأمر؛ فلا يلتفت بوجهه ولا يميل بكفيه وقدميه عن القبلة.

(٢) الإحياء (١ : ١٦٤).

(٣و٤) حلية الأولياء (٢ : ٣٠٤).

للمسجد، وقراءة القرآن، فعن نافع أن ابن عمر كان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ، حتى يرتفع الضحى ولا يصلي، ثم ينطلق إلى السوق فيقضي حوائجه، ثم يجيء إلى أهله، فيبدأ بالمسجد فيصلي ركعتين، ثم يدخل بيته[1].

وقيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف بينهما[2]. وقال: كان ابن عمر يحيي ما بين الظهر إلى العصر[3].

وأما صلاة الجماعة فإنه كان يحرص عليها كل الحرص، وهو الراوي عن النبي ﷺ: «إن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الرجل وحده سبعاً وعشرين». وإذا فاتته صلاة العشاء بجماعة أحيا الليل، وإذا ترك شخص الفجر والعشاء أساء به الظن؛ وإذا فاتته صلاة الجماعة، صام يوماً، وأحيا ليلة، وأعتق رقبة[4]، فعن نافع أن ابن عمر كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته[5]. وعن ابن عمر قال: كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن[6].

---

(١) الطبقات (٤: ١٤٧).

(٢) سير النبلاء (٣: ١٤٣).

(٣) الحلية (١: ٣٠٤).

(٤) أخبار عمر (ص ٥٦٢) وعزاه إلى نزهة المجالس (١: ١١٤).

(٥) سير النبلاء (١: ١٥٨).

(٦) الحلية (١: ٣٠٣).

وإذا كان الناس يتفاوتون بالطاعات والنوافل؛ فإن ابن عمر كان يحافظ على صلاة السنن قبل الفرض وبعده؛ فقد أخرج ابن جرير عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الظهر أربعاً[1]. وأخرج عنه أيضاً؛ أنه كان إذا زالت الشمس يأتي المسجد فيصلي ثنتي عشرة ركعة قبل الظهر ثم يقعد. وعن نافع؛ أن ابن عمر كان يصلي قبل الظهر ثماني ركعات، ويصلي بعدها أربعاً[2] وهو القائل: حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الصبح[3].

والذي يستوقف النظر ويستدعي الإعجاب والإكبار في نوافل ابن عمر؛ هو قيامه الليل وتهجده، فقد كان أخا الليل يقومه مصلياً، وصديق السحر يقطعه داعياً ومستغفراً، وقد مرَّ معنا أنه رأى في شبابه رؤيا، فسرها النبي ﷺ تفسيراً جعل قيام الليل منتهى آمال عبد الله ومناط غبطته[4] وجوده.

فعن نافع؛ أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع، أسَحَرْنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا

(١و٢) حياة الصحابة (٣: ٦١١).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رجال حول الرسول (١: ١٢٢) بتصرف.

نافع أسحرنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعـو حتى يصبح[1].

وعن ابن عون عن محمد قال: كان ابن عمر كلما استيقظ من الليل صلَّى[2]. وعن أبي غالب ـ مولى خالد بن عبد الله ـ قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة، فكان يتهجد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح يا أبا غالب، ألا تقوم فتصلي؟ ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟ فقال: إن سورة الإخلاص ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن[3].

وعن عبد الله بن المبارك عن عمر بن محمد بن زيد قال: أنبأنا أبي، أنَّ ابن عمر كان له مهراس[4] فيه ماء، فيصلي فيه ما قدِّر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، ويفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمساً[5].

صيامه

وكان عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يسرد الصوم،

---

(١) حلية الأولياء (١: ٣٠٣) والإصابة (١: ٣٤٩).

(٢و٣) حلية الأولياء (١: ٣٠٤).

(٤) المهراس: صخرة منقورة يوضع فيها الماء.

(٥) سير النبلاء (٣: ١٤٣) والإصابة (١: ٣٤٠).

فقد ذكره العلماء مع الصحابة الساردين للصوم، منهم: عمر، وابنه، وأبو طلحة، وطلحة بن عمرو، وعائشة[1].

وقال ابن عمر عن أبيه: «ما مات عمر حتى سرد الصوم»[2]. فطبيعي أن يتشبه عبد الله بأبيه.

وكان لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر؛ فعن نافع قال: كان ابن عمر لا يصوم في السفر ولا يكاد يفطر في الحضر؛ إلا أن يمرض أو أيام يَقْدَمُ، فإنه كان رجلاً كريماً يُحبُّ أن يُؤْكل عنده. قال: وكان يقول: ولأن أفطر في السفر فآخذ برخصة الله أحب إليَّ من أن أصوم[3].

وكان يشترط الفطر في السفر على من صحبه فيه؛ فعن حماد بن زيد، عن خالد الحذَّاء قال: كان ابن عمر يشترط على من صحِبَه: أن لا تصحبَنا ببعير جلّال[4]، ولا تنازعنا الأذان، ولا تصوم إلا بإذننا[5].

وعن حماد بن سلمة عن أبي ريحانة قال: كان ابن عمر يشترط على من صحبه في السفر: الفطر، والأذان،

---

(١) مرآة الجنان (١: ١٥٥).

(٢) الرياض النضرة (٢: ٥٠).

(٣) الطبقات (٤: ١٤٨).

(٤) بعير جلال: وهو الذي يأكل العذرة والبعر.

(٥) الطبقات (٤: ١٤٨).

والذبيحة، يعني الجزْرَة[1] يشتريها للقوم[2].

حجه

شهد ابن عمر مع رسول الله ﷺ حجة الوداع، فوقف معه في موقفه بعرفة، فكان يقف في ذلك الموقف كلما حج، وكان كثير الحج، لا يفوته الحج في كل عام[3]، وكان كثير العمرة؛ فعن نافع: كان ابن عمر لا يدع عمرة رجب[4].

قال ابن عبد البر: كان ابن عمر رضي الله عنهما مولعاً بالحج قبل الفتنة، وفي الفتنة، إلى أن مات، ويقولون: إنه كان من أعلم الصحابة بمناسك الحج[5]. وكان الناس يتطلعون إلى أفعاله في الحج، ويتلقفون كلماته؛ لما علموا من حرصه على الأسوة برسول الله ﷺ والتتبع لآثاره، فعن يوسف بن ماهك قال: رأيت ابن عمر حلق رأسه على المرْوَةِ ثم قال للحلاق: إن شعري كثير وإنه قد آذاني ولستُ أطلي، أفتحلقه؟ قال: نعم، قال: فقام فجعل يحلق صدره، واشرأبّ الناس ينظرون إليه، فقال: يا أيها الناس إن هذا

---

(١) الجزرة: الشاة التي تذبح للأكل.
(٢) الطبقات (٤ : ١٤٨).
(٣) نسب قريش (ص ٣٥١).
(٤) الطبقات (٤ : ١٦٢).
(٥) الاستيعاب (٣: ٩٥١).

ليس بسُنّة ولكنّ شعري كان يؤذيني[1].

وقد مرّ أن الحجاج أُمِرَ من قبل عبد الملك بن مروان ألا يخالف عبد الله بن عمر في الحج، ومن يتتبع كتب الحديث يجد كثرة الأحاديث التي رواها ابن عمر عن حجة رسول الله ﷺ، والأخبار في وصف أفعال ابن عمر في الحج والتي كان يقرنها بقوله: «إن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك». قال نافع: كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طُوى، ثم يصلي بها الصبح ويغتسل، ويحدث: أن نبي الله ﷺ كان يفعل ذلك[2]. وقال في رواية: كان إذا صلى الغداة بذي الحُلَيْفة، أمر براحلته فرحِلَتْ ثم ركب، حتى إذا استوت به، استقبل القبلة قائماً، ثم يلبي، حتى إذا بلغ الحرمَ أمسك، حتى إذا أتى ذا طُوى بات به، فيصلي به الغداة، ثم يغتسل، وزعم أن النبي ﷺ فعل ذلك[3].

وكانت تلبيته ما حفظه من النبي ﷺ وما زاده هو فيها؛ فيقول: تلقفت[4] من رسول الله ﷺ: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك،

---

(١) الطبقات (٤: ١٥٥).

(٢ و٣) جامع الأصول (٣: ٨٦ ـ ٨٧).

(٤) تلقفت: أي أخذتها بسرعة، وروي تلقنت وتلقيت.

لا شريك لك». وزدت أنا: لبيك وسعديك والخير في يديك، لبيك والرغباء إليك والعمل[1].

ونتبين حرصه على الحج في كل عام مع تمسكه بآثار النبي ﷺ من خلال هذا الحوار بينه وبين ولديه؛ قال نافع: إن عبد الله بن عبد الله، وسالم بن عبد الله؛ كلَّمَا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما؛ حين نزل الحجاج لقتال ابن الزبير، قالا: لا يضرك أن لا تحج العام، فإنا نخشى أن يكون بين الناس قتال، يحال بينك وبين البيت، قال: إن حيل بيني وبينه فعلت كما فعل رسول الله ﷺ وأنا معه حين حالت قريش بينه وبين البيت: أشهدكم أني قد أوجبت عمرة، فانطلق حتى إذا أتى ذا الحليفة، فلبى، ثم قال: إن خلي سبيلي قضيت عمرتي، وإن حيل بيني وبينه، فعلت كما فعل رسول الله ﷺ، ثم تلا: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ ثم سار، حتى إذا كان بظهر البيداء قال: ما أمرهما إلا واحد، إن حيل بيني وبين العمرة حيل بيني وبين الحج، أشهدكم أني قد أوجبت حجة مع عمرتي، فانطلق، حتى ابتاع بقديد هدياً، ثم طاف لهما طوافاً واحداً. وقال ابن عمر: كذلك فعل رسول الله ﷺ[2]

ولم يكن هذا الحرص مقتصراً على الشكل؛ بل كان

---

(١) جامع الأصول (٣: ٩٠).

(٢) جامع الأصول (٣: ١٠٨).

يشمل المضمون والجوهر لهذه العبادة، ونجد تأكيد ذلك في استسلام ابن عمر لله وتجرده من علائق الأرض في طوافه وسعيه؛ حتى إنه كان يتخايل الله عز وجل في طوافه، ويدعوه دعوة المؤمن المتصل بخالقه في سعيه؛ قال عروة بن الزبير: خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف، فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت: لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبداً، فقدر له أن صدر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول ﷺ فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله، فأتيته ورحب بي وقال: متى قدمت؟ فقلت: هذا حين قدومي، فقال: أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنت قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن؟ فقلت: كان أمراً قدر، قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط، فدعا ابنيه سالماً وعبد الله فزوجني[١].

وقال نافع: سمعت ابن عمر يدعو على الصفا فيقول:

اللهم إنك قلت: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وإنك لا تخلف الميعاد، وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم[٢].

---

(١) حلية الأولياء (١: ٣٠٩).

(٢) جامع الأصول (٣: ٢١٨) وقال: أخرجه مالك في الموطأ.

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة فرضها الله تعالى، وتميزت بها الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعرون وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[١].

وعبد الله بن عمر كان يقوم بهذه الفريضة الكفائية خير قيام، فينهى عن المنكر بالقول والعمل، ويزيله بما يستحق من القوة والعنف؛ فعن نافع قال: كان ابن عمر يكسر النرد[٢] والأربع عشرة[٣][٤]. وعن نافع أن ابن عمر وجد مع بعض أهله الأربع عشرة فضرب بها رأسه[٥]. وعنه: أن ابن عمر كان يسمع بعض ولده يلحن فيضربه[٦]. وعنه أن ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والإمام يخطب فحصبهما[٧]: أن اصمتا[٨]. وقد مر أن ابن عمر كان يتصدى للحَجَّاج يأمره

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) النرد: لعبة وضعها أحد ملوك الفرس وتعرفها العامة بلعبة الطاولة.
(٣) وهي «المنقلة» لعبة تتخذ من خشبة مستطيلة نقر فيها أربعة عشر نقرة في صفين متوازيين فيجعل في كل نقرة سبع حصيات وتدار الحصى بطرق معلومة.
(٤) الطبقات (٤: ١٦٤).
(٥و٦) الطبقات ٤: (١٥٥).
(٧) فحصبهما: الحصب: الرجم بالحصباء، وهي صغار الحصى.
(٨) جامع الأصول (٥: ٦٨٦).

بالمعروف وينهاه عن المنكر؛ فاستحق ما وصفه به العلماء من الشجاعة والجرأة.

أما أمره بالمعروف فكان يتخذ طابع التعليم الهادىء المقترن بالحجة والدليل؛ قال عبد الله بن عبد الله بن عمر: إنه كان يرى عبد الله بن عمر يتربع في الصلاة إذا جلس ففعلته وأنا يومئذ حديث السن، فنهاني عبد الله بن عمر، وقال: إنما سنة الصلاة: أن تنصب رجلك اليمنى، وتثني رجلك اليسرى، فقلت: إنك تفعل ذلك؟ قال: إن رجليَّ لا تحملاني[1].

وعن أبي حازم قال: مر ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق، فقال: ما شأنه؟ قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى الله وما نسقط[2].

وعن جابر بن زيد قال: لقيني ابن عمر فقال: يا جابر، إنك من فقهاء البصرة وتُستفتى فلا تفتين إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية[3].

وكان إذا نظر إلى ما أحدث الحُجاج من الزي والمحامل يقول:

---

(١) جامع الأصول (٥: ٤٠٧) وقال: أخرجه البخاري والموطأ.

(٢) الحلية (١: ٣١٢).

(٣) أعلام الموقعين (١: ٥٩).

الحاج قليل والركب كثير، ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحت جوالق[1] فقال: وهذا نعم من الحُجاج[2].

دعاؤه

والدعاء مخ العبادة، وهو دليل التذلل والخضوع لله وحده، ودليل الإخلاص لله القادر الرحيم، والامتثال لقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾[3].

وروى ابن عمر كثيراً من أدعية النبي ﷺ وأقواله في الترغيب بالدعاء؛ فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «من فُتح له منكم باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئاً يُعطى أحب إليه من أن يُسأل العافية»[4]. وعنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء»[5].

وروى مسلم أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أمر رجلاً قال: «إذا أخذت مضجعك، قل: اللهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العفو

---

(١) الجوالق وعاء من الأوعية معروف معرب (العدل).

(٢) إحياء علوم الدين (١ : ٢٦٥).

(٣) غافر: ٦٠.

(٤و٥) التاج الجامع للأصول (٥ : ١١٠) وقال: رواهما الترمذي.

والعافية» فقيل له: سمعتَ هذا من عمر؟ قال: سمعته من خيرٍ من عمر؛ من رسول الله ﷺ.

وعن ابن عمر أنه قال: كان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد ـ قبل أن يقوم ـ مائة مرةٍ: «ربِّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»(١).

ولذلك بقي ابن عمر حتى آخر حياته يتمنى المغفرة، مكتفياً بها عن متاع الدنيا وأعراضها الزائلة؛ قال أبو الزناد: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بنو الزبير، وعبد الله بن عمر. فقالوا: تمنوا. فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم. وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة، قال: فنالوا كلهم ما تمنوا، ولعل ابن عمر قد غُفِرَ له(٢).

وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا جلس مجلساً لم يقم حتى يدعو بهن لجُلسائه، وزعم أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهنّ لجلسائه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلِّغنا به

---

(١) جامع الأصول (٤ : ٢٧٩) وقال: أخرجه الترمذي.

(٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٩).

جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائبَ الدنيا، اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»[١].

وكان من دعائه الصباحي ما رواه عبد الله بن سبرة فقال: كان ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ إذا أصبح قال: اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة، ونوراً تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزقاً تبسطه، وضراً تكشفه، وبلاءً ترفعه، وفتنة تصرفها[٢].

وكان إذا طلب منه الدعاء كَرِهَ الإسهاب ورغب في الاختصار؛ فقد قيل لعبد الله بن عمر: لو دعوت الله لنا، فقال: اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا، فقال رجل: لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن، فقال: نعوذ بالله من الإسهاب[٣].

---

(١) جامع الأصول (٤ : ٢٧٩) وقال: أخرجه الترمذي.
(٢) حلية الأولياء (١ : ٣٠٥). والإصابة (٢ : ٣٤٩).
(٣) أخبار عمر للطنطاوي (ص ٥٦٤).

خوفُهُ مِنَ اللهِ

كان عبد الله بن عمر كأبيه عمر رقيق القلب سريع الدمعة، تهطل دموعه وهو يقرأ آيات القرآن الكريم أو يسمعها، وبكاؤه دليل الخوف والخشية من الله، والمعرفة الحقة لجلاله وعظمته؛ قال نافع: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهم لذِكْر الله﴾ بكى حتى يغلبه البكاء[1].

وقال القاسم بن أبي بَزَّة: حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنهما قرأ: ﴿ويلٌ للمطفِّفين. .﴾ حتى بلغ: ﴿يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين﴾ قال: فبكى حتى خرَّ، وامتنع من قراءة ما بعده[2].

ونعرف سر بكائه وتأثره في خبر نافع[3]: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله. . .﴾ الآية، ثم

(١) سير النبلاء (٣: ١٤٢).

(٢و٣) حلية الأولياء (١: ٣٠٥).

يقول: إن هذا لإحصاء شديد.

وعن عبد الله بن عمير عن أبيه؛ أنه تلا: ﴿فكيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أمَّةٍ بشَهيد﴾ فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت[1] لحيته وجيبه من دموعه؛ فأراد رجل أن يقول لأبي أقصر، فقد آذيت الشيخ[2].

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال: شرب عبد الله بن عمر ماءً مبرداً فبكى فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وحِيل بينهُمْ وبين ما يشْتهونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: ﴿أفيضوا علينا مِنَ الماءِ أو ممَّا رزَقكم الله﴾[3].

ولئن قال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله»[4]. فإن ابن عمر نال الاثنتين معاً، فقد بات أشهراً يحرس في سبيل الله؛ كما رأينا ونحن نقرأ عن جهاده وغزوه، وعيناه تهراقان بالدموع من خشية الله وهو يقرأ أو يتفكر في آيات كتاب الله،

(١) لثقت: أي ابتلت.
(٢) سير النبلاء (٣: ١٤٢) والطبقات (٤: ١٦٢).
(٣) صفة الصفوة (١: ٥٧٨).
(٤) الترغيب والترهيب (٢: ٢٤٨).

أو حتى وهو يستمع إلى حديث قاصٍّ، قال يوسف بن ماهك: انطلقت مع ابن عمر إلى عُبيد بن عمير وهو يقصُّ على أصحابه، فنظرت إلى ابن عمر فإذا عيناه تُهراقان[1].

● ● ●

(١) الطبقات (٤ : ١٦٢).

زُهـــدُه وورَعُـــه

سمع ابن عمر رجلاً يقول: أين الزاهدون في الـدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر. فقال: عن هؤلاء تسأل[1]. وهؤلاء الزاهدون كانوا أساتذته؛ منهم فهم معنى الزهد قولاً وعملاً، وبهم تأسى، فأبغض الدنيا وأعرض عنها، واكتفى منها بما يستر الجسم ويقيم الأود؛ مع أنه كان ثرياً مليئاً. ورغب في الآخرة، وطلب الراحة فيها، وأعلن لها جهاد النفس وجهاد الأعداء، وإعمار الأرض وتزيينها بالعبادة والأعمال الصالحة.

لقد ورد ابن عمر الماء من نبعه العذب الصافي؛ فكان الزهد في حياته إسلامياً خالصاً؛ قبل أن تشوبه المفاهيم السلبية السقيمة، وتدَّعيه النفوس المهزومة المريضة، وقبل أن يصبح مظهراً للتكسب والسؤال، ويخفي ألواناً من الشره والحرص على الترف والتفنن في الملذات في الخفاء.

وسنفصل القول في زهد ابن عمر في الطعام واللباس، والأثاث والمال، والمناصب.

---

(١) الحلية (١: ٣٠٧).

زهده في الطعام واللباس

فهم ابن عمر من الإسلام ومن سيرة رسول الله وأصحابه، أن استهلاك النعم في الملبس والمطعم فقط إنما هو ازدراء وتضييع لها، وجحود لواهبها ومرسلها، وترف إذا وجد وانتشر في أمة أدى بها إلى الدمار والهلاك؛ فمن زهده في الطعام ما قاله عمر بن حمزة بن عبد الله: كنت جالساً مع أبي فمرَّ رجل فقال: أخبرني ما قلت لعبد الله بن عمر يوم رأيتك تكلمه بالجرف. قال: قلت يا أبا عبد الرحمن، رقّت مضغتك، وكبر سنك، وجلساؤك لا يعرفون حقك ولا شرفك، فلو أمرت أهلك أن يجعلوا لك شيئاً يلطفونك إذا رجعت إليهم. قال ويحك! والله ما شبعت منذ إحدى عشرة سنة، ولا اثنتي عشرة سنة، ولا ثلاث عشرة سنة، ولا أربع عشرة سنة، ولا مرة واحدة! فكيف بي وإنما بقي مني كظمىء الحمار[1][2].

وكان مولى لعبد الله بن عمر قدم من العراق فجاءه يسلم عليه فقال: أهديت إليك هدية، قال: وما هي؟ قال: جوارش. قال: وما جوارش؟ قال: تهضم الطعام. فقال: فما

---

(١) ظمؤ الحمار: كناية عن الوقت اليسير؛ لأن الحمار أقل الدواب صبراً عن الماء.

(٢) الحلية (١ : ٢٩٩).

ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة فما أصنع به[1]؟!

وعن نافع أن ابن عمر كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة، قال: فربما سمع بنداء مسكين، فيقوم إليه بنصيبه من اللحم والخبز، فإلى أن يدفعه إليه ويرجع قد فرغوا مما في الجفنة، فإن كنت أدركتَ فيها شيئاً فقد أدرك فيها، ثم يُصبحُ صائماً[2].

وكان أكل اللحم والإكثار منه دليل الترف والتنعم أكثر مما هو اليوم؛ ويحدثنا نافع عن استهلاك هذه المادة في بيت ابن عمر فيقول: إن كان ابن عمر ليقسم في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم[3].

ويقول: كان ابن عمر لا يدمن اللحم شهراً إلا مسافراً أو في رمضان قال: وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم[4].

وتزول دهشتنا ويتلاشى استغرابنا من هذا التقشف الاختياري مع وفرة المال؛ عندما يخبرنا ابن عمر نفسه عن المدرسة التي استقى منها هذا المنهج وتربى فيها هذه التربية فيقول: ما شبعت منذ أسلمت[5].

---

(١) الحلية (١: ٣٠٠).

(٢) الطبقات (٤: ١٦٥).

(٣و٤) الحلية (١: ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٥) الحلية (١: ٢٩٩).

ومن زهده في اللباس ما روي عن هلال بن خباب عن قَزَعة قال:

رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة، فقال: أرنيه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن. قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور[1].

ويتضح زهده في اللباس والثياب في هذا الدرس الذي يمليه على ابنه؛ فعن ميمون بن مهران أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استكساه إزاراً وقال: وقد تخرَّق إزاري. فقال له: اقطع إزارك ثم اكتسه، فكره الفتى ذلك، فقال له عبد الله بن عمر: ويحك، اتق الله لا تكونن من القوم الذي يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم[2].

وسأله رجل عما يلبس من الثياب؟ فقال له: البس ما لا يزدريك فيه السفهاء ولا يعيبك به الحلماء. قال: ما هو؟ قال: ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً[3].

---

(١) الحلية (١ : ٣٠٢).

(٢) الحلية (١ : ٣٠١).

(٣) الحلية (١ : ٣٠٢).

زهده في الأثاث والمال

وزهدَ ابن عمر في الأثاث والمال، ولم يكن زهده هذا عن فقر، فقد كان ثرياً، تأتيه الأموال الكثيرة، فيجد فيها حق الفقير والمسكين.

ولم يكن زهده عن بخل، فقد كان سخياً كريماً، تمر الأموال الوافرة به مروراً، وتعبر داره عبوراً سريعاً؛ قال ميمون ابن مهران: لقد دخلت على ابن عمر فقوَّمت كل شيء في بيته من أثاث ما يساوي مائة درهم[1]. وفي رواية أنه قال: دخلت منزل ابن عمر فما كان فيه ما يسوَى طيلساني هذا[2].

قال أبو المليح: فبيع طيلسان ميمون حين مات في ميراثه بمائة درهم[3].

وعن ميمون بن مهران قال: دَسَّ معاوية عمرو بن العاص، وهو يريد أن يعلم ما في نفس ابن عمر، يريد القتال أم لا، فقال: يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أن تخرج فنبايعك وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ قال: وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم إلا نُفيْرٌ يسيرٌ، قال: لو لم يبق إلا ثلاثة

---

(١) سير النبلاء (٣: ١٤١).
(٢) الحلية (١: ٣٠١).
(٣) الطبقات (٤: ١٦٥).

أعلاج بهجَرَ لم يكن لي فيها حاجة. قال: فعلم أنه لا يريد القتال، قال: هل لك أن تبايع لمنْ قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟ فقال أفٍ لك!! اخرج من عندي، ثم لا تدخل عليّ!! ويحك إن ديني ليس بديناركم ولا درهمكم وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية[١].

وعن ابن عمر قال: لولا أن معاوية بالشام، ليسرني أن آتي بيت المقدس فأهل منه بعمرة، ولكن أكره أن آتي الشام فلا آتيه فيجد عليّ، أو آتيه فيراني تعرَّضت لما في يديه[٢].

زهده في المناصب

وزهده في المناصب لم يكن عن عجز، فقد عُرِضَت عليه الخلافة مرات فرفضها؛ إذ اشترط لقبولها المستحيل وهو اجتماع الكلمة وعدم القتال، وعرض عليه عثمان القضاء فاعتذر، وطلب منه علي أن يذهب إلى الشام أميراً فخرج هارباً إلى مكة ليلاً.

ففي الطبقات من حديث خالد بن سُمير قال: قيل لابن عمر: لو أقمت للناس أمرهم فإن الناس قد رضوا بك كلهم. فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق؟ قالوا: إن خالف

(١) الطبقات (٤: ١٦٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣: ١٥٨).

رجلٍ قُتل، وما قتلُ رجلٍ في صلاح الأمة؟ فقال: والله ما أحبُّ لو أن أمة محمدٍ ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذتُ بزُجّه فقُتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها(١).

وقال قَطنَ: أتى رجل ابن عمر فقال: ما أحد شرٌ لأمة محمد منك، فقال: لمَ؟ فوالله ما سفكت دماءهم، ولا فرقت جماعتهم، ولا شققت عصاهم، قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان، قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول: لا، وآخر يقول بلى(٢).

وأما عن زهده في القضاء فيحدثنا يزيد بن مُوْهَب أن عثمان قال لعبد الله بن عمر: اقْضِ بين الناس، فقال: لا أقضي بين اثنين، ولا أؤم اثنين. قال: فقال عثمان: أتعصيني؟ قال: لا، ولكنَّه بلغني أن القضاة ثلاثة: رجل قضى بجهل فهو في النار، ورجل حاف ومالَ به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو كفاف لا أجر له ولا وزر عليه. فقال: فإن أباك كان يقضي، فقال: إن أبي كان يقضي فإذا أشكل عليه شيء سأل النبي ﷺ، وإذا أشكل على النبي سأل جبرائيل، وإني لا أجد من أسأله، أما سمعت النبي ﷺ يقول: «من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ؟» فقال عثمان: بلى.

(١و٢) الطبقات (٤ : ١٥١).

فقال: فإني أعوذ بالله أن تستعملني. فأعفاه وقال: لا تخبر بهذا أحداً[1].

وقد يبدو هذا الموقف لعبد الله بن عمر سمة من سمات السلبية. بيد أن ذلك ليس كذلك، فعبد الله بن عمر لم يمتنع عن القضاء وليس هناك من يصلح له سواه؛ بل كان هناك كثيرون من أصحاب الرسول الورعين الصالحين، وكان بعضهم يشغل القضاء والفتيا بالفعل، ولم يكن في تخلي ابن عمر عنه تعطيل لوظيفة القضاء ولا إلقاء بها بين أيدي الذين لا يصلحون لها. ومن ثَمَّ فقد آثر البقاء مع نفسه يزكيها بالمزيد من الطاعة والمزيد من العبادة[2].

وَرعُهُ

وإذا كان الورع هو اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات؛ فإن ابن عمر مطبوع على ذلك، وقد شهد بورعه الصحابة والتابعون؛ قال طاووس: ما رأيت أورع من ابن عمر [3]. وما نقل إلينا من الحوادث والقصص عن ورعه يعتبر أكبر شاهد على ملازمته الحلال البين والبعد عن الشبه؛ طاعةً ومحبة لله، وتأسياً برسول الله، فعن نافع، أن ابن عمر

---

(١) الطبقات (٤: ١٤٦).

(٢) رجال حول الرسول بتصرف يسير (١: ١٢١).

(٣) سير النبلاء (٣: ١٤٠).

سمع صوت زمارة راعٍ فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل براحلته عن الطريق وهو يقولً: يا نـافع أتسمـع؟ وأقول: نعم، فيمضي حتى قلت: لا، قال: فوضع يديه عن أذنيه وعدل إلى الطريق وقال: رأيت رسول الله ﷺ، وسمع صوت زمارة راعٍ فصنع مثل هذا(١).

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقيمنَّ أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا» وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه.

قال النووي: وذلك من مزيد ورعه وخشية دخوله في النهي بأن ذلك إقامة للجالس بالإشارة سيما إذا عرف محبة القادم لذلك، فتركه ورعاً وتنزهاً عن أن ينسب إليه فعل مما نهى عنه الشارع.

وعن ميمون بن مهران؛ أن ابن عمر رضي الله عنهما كاتب غلاماً له ونجّمها عليه نجوماً، فلما حلَّ أول نجم أتاه المكاتب به، فسأله من أين أصبت هذا؟ قال: كنت أعمل وأسأل. قال ابن عمر: أفجئتني بأوساخ الناس تـريد أن

---

(١) الطبقات (٤ : ١٦٣). وفي الحديث أن الرسول لم يمنع ابن عمر من السماع، وكذلك لم يمنع ابن عمر نافعاً؛ وهذا دليل على عدم التحريم بل دليل على أن الترك أولى.

تطعمنيها؟ أنت حرٌ لوجه الله ولك ما جئت به[1].

وعن سعيد بن جبير، أن ابن عمر تصدق على أمه بغلام فمرَّ في السوق على شاة حلوب تباع فقال للغلام: أبتاع هذه الشاة من ضريبتك، فابتاعها وكان يُعجبهُ أن يفطر على اللبن فأتي بلبن عند فطره من الشاة، فوضع بين يديه، فقال: اللبن من الشاة، والشاة من ضريبة الغلام، والغلام صدقة على أمي، ارفعوه لا حاجة لي فيه[2].

وحدث مالك بن أنس عن شيخ قال: لما كان زمن ابن الزبير انتُهِبَ تمر فاشترينا منه فجعلناه خَلًّا، فأرسلت أمي إلى ابن عمر وذهبت مع الرسول، فسأل ابن عمر عن ذلك فقال: أهريقوه[3].

وعنه أنه قال في أيام الحجاج: ما شبعت من الطعام مذ انتهبت الدار إلى يومي هذا[4].

ولم يتورع ابن عمر عن أكل الشبهات فحسب؛ بل زهد وتورع عن الضروري من الحياة إذا كان فيه شبهة من التنعم

(١) الحلية (١: ٣٠١).

(٢) الطبقات (٤: ١٦٠).

(٣) الطبقات (٤: ١٦٣).

(٤) إحياء علوم الدين (٢: ١٣٧). والدار هي دار عثمان رضي الله عنه انتهبها الثوار بعد قتله.

أو شبهة من الحرام؛ فكان يقول عن الحمّام: هو من النعيم الذي أحدثوه [1].

وحدث أبو شعيب الأسدي قال: رأيت ابن عمر بمنى قد حلق رأسه والحلاق يحلق ذراعيه فلما رأى الناس ينظرون إليه قال: أما إنه ليس بسنة ولكني رجل لا أدخل الحمام[2]. فقال رجل: ما يمنعك عن الحمام يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إني أكره أن تُرى عورتي. قال: فإنما يكفيك من ذلك إزار، قال: فإني أكره أن أرى عورة غيري[3].

---

(١) إحياء علوم الدين (١ : ١٣٩).

(٢) المقصود هو الحمام العام، ولا يخلو ـ حتى أيامنا هذه ـ من كشف العورات.

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٤).

جُودُه وَكَرَمُه

وأما عن جود ابن عمر وصدقاته ومبراته؛ فحدّث عنه ولا حرج، فقد كان صادقاً في قدوته برسول الله ﷺ، وصادقاً في تشبهه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ ينفق في وجوه الخير إنفاق من لا يخشى الفقر ولا يحسب له حساباً، والأموال الكثيرة تأتيه[1] فلا تتجاوز يديه، ومحال أن تصل إلى قلبه فيصبح لها عبداً. وكان يختار للإنفاق الجيد وما

(١) روي أن ابن عمر لم يرد هدية أحد إلا هدية المختار الثقفي؛ وكان يقبل العطاء مهتدياً بتعليم رسول الله ﷺ لأبيه عمر، فقد روى مسلم عن ابن عمر، أن النبي ﷺ كان يعطي عمر العطاء فيقول له عمر: أعطه يا رسول الله من هو أفقر إليه مني، فقال رسول الله ﷺ: «خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك». قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً، ولا يرد شيئاً أعطيه.
وقال عبد الله بن المبارك: «إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ـ يعني من الحكام ـ ويحتجون بابن عمر وعائشة، ما يقتدون بهما؛ لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفاً، وعائشة فعلت مثل ذلك» عن إحياء علوم الدين (٢ : ١٣٧).

تحبه نفسه من الأموال؛ استجابة لقول الله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾.

وكان يخص بعطائه وإطعامه الفقراء والمحتاجين؛ لأنه لم يكن يريد بكرمه وجوده إلا وجه الله. وسنرقب ابن عمر الكريم وهو ينفق الأموال الكثيرة، ويختار للإنفاق ما تحبه نفسه، ويخص بإنفاقه المستحقين.

إنفاقه الأموال الكثيرة

قال ميمون بن مهران: أتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يقم حتى فرّقها[1].

وقال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد[2].

وقال: أتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفاً فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها. قال: ولم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده، فجاء بعض من كان يُعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه إياه[3].

---

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٧٠) والحلية (١ : ٢٩٦).

(٢) حلية الأولياء (١ : ٢٩٦).

(٣) صفة الصفوة (١ : ٥٧١). والطبقات (٤ : ١٤٨).

وعن نافع؛ أن معاوية رضي الله عنه بعث إلى ابن عمر بمائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء[1].

ولا شك أن هذا الإنفاق الكثير يستدعي الدهشة والاستغراب والمراقبة من بعض معاصري ابن عمر، ولنسمع أيوب بن وائل الراسبي يحدثنا هذه القصة التي تأكد فيها من كرم ابن عمر بنفسه؛ يقول: قدمت المدينة فأخبرني رجلٌ جارٌ لابن عمر: أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة[2]، فجاء إلى السوق يريد علفاً لراحلته بدرهم نسيئة[3]، فقد عرفت الذي جاءه، فأتيت سرّيته فقلتُ: إني أريد أن أسألك عن شيء وأحبُّ أن تصدقيني. قلت: أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة؟ قالت: بلى. قلت: فإني رأيته يطلب علفاً بدرهم نسيئة. قالت: ما بات حتى فرّقها، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها[4] ثم جاء.

فقلت: يا معشر التجار ما تصنعون بالدنيا؟! وابن عمر أتته

---

(١) صفة الصفوة (١: ٥٧٢).

(٢) قطيفة: كساء لها خمل.

(٣) نسيئة: أي تأخير الدفع إلى أجل.

(٤) فوجهها: أي وهبها.

البارحة عشرة آلاف درهم وضح[1]، فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة[2].

إنفاق ما تحبه نفسه

قال نافع: كان ابن عمر إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرّبه لربه عزّ وجلّ. قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمّر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله عنه على تلك الحالة الحسنة أعتقه. فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله عزّ وجلّ انخدعنا له. فقال: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب[3] له قد أخذه بمال عظيم، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه، فقال: يا نافع، انزعوا زمامه ورحْلَهُ وجلّلوه[4] وأشعروه[5] وأدخلوه في البدن[6].

---

(١) وضح: أي صحيحة.

(٢) الحلية (١ : ٢٩٦ ـ ٢٩٧).

(٣) نجيب: جمعه نجب ونجائب. قال الأزهري: العتاق من الإبل التي يسابق عليها.

(٤) جللوه: ضعوا في رقبته الجل وهو الجرس، ليعرف.

(٥) أشعروه: علموه ليعرف أنه هدي.

(٦) الحلية (١ : ٢٩٥).

وقال عبد الله بن أبي عثمان: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيْثة، وقال: إني سمعت الله عزّ وجلّ يقول في كتابه: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي فأنت حرّة لوجه الله عز وجل(١).

وعن عاصم بن محمد عن أبيه قال: أعطي ابن عمر بنافع عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار. فقلت: يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع؟ قال: فهلا ما هو خير من ذلك، فهو حر لوجه الله عز وجل(٢).

وعن ميمون بن مهران؛ قال: مرًّ أصحاب نجدة الحروري على إبل لعبد الله بن عمر فاستاقوها، فجاء راعيها. فقال: يا أبا عبد الرحمن احتسب الإبل. قال: وما لها؟ قال: مرَّ بها أصحاب نجدة الحروري فذهبوا، قال: كيف ذهبوا بالإبل وتركوك؟ قال: قد كانوا ذهبوا بي معها ولكني انفلت منهم؟ قال: ما حملك على أن تركتهم وجئتني؟ قال أنت أحب إليَّ منهم. قال: آلله الذي لا إله إلا هو لأنا أحب إليك منهم؟ قال: فحلف له. قال: فإني احتسبك معها، فأعتقه، فمكث ما مكث ثم أتاه آتٍ فقال: هل لك في ناقتك الفلانية؟

---

(١) الحلية (١ : ٢٩٥).
(٢) صفة الصفوة (١ : ٥٧١) وقال: رواه أحمد.

سماها باسمها. ها هي ذا تباع بالسوق. قال: أرني ردائي، فلما وضعه على منكبيه وقام، جلس فوضع رداءه ثم قال: لقد كنت احتسبتها فلم أطلبها(١).

وكانت صدقات ابن عمر بما يحب تتعدى الإنفاق والعتق إلى التصدق بما يحب ويشتهي من الطعام؛ فعن نافع أن ابن عمر اشتهى عنباً وهو مريض، فاشتريت له عنقوداً بدرهم، فجئت به فوضعته في يده، فجاءه سائل فقام على الباب فسأل، فقال ابن عمر: ادفعه إليه في يده. قال: قلت: كل منه، ذقه. قال: لا، ادفعه إليه، فدفعته إليه. قال: فاشتريته منه بدرهم فجئت به إليه فوضعته في يده فعاد السائل فقال ابن عمر: ادفعه إليه. قلت: ذقه كل منه. قال: لا، ادفعه إليه فدفعته، فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه إليه حتى قلت للسائل في الثالثة أو الرابعة: ويحك ما تستحي؟ فاشتريته منه بدرهم فجئت به إليه فأكله(٢).

وعن سعيد بن هلال، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة ـ وهو شاك ـ فقال: إني لأشتهي حيتاناً، فالتمسوا له فلم يجدوا له إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته ـ صفية بنت أبي عبيد ـ فصنعته ثم قربته إليه، فأتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر: خذه. فقال أهله: سبحان

(١) الحلية (١: ٣٠٠ ـ ٣٠١).
(٢) الحلية (١: ٢٩٧).

الله، قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه، فقال: إن عبد الله يحبه[1].

وكان يتصدق بالسُّكر ويقول: سمعت الله يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ والله يعلم أني أحب السكر[2].

وعن عبد الله بن دينار قال: خرجت مع ابن عمر إلى مكة فعرّسنا[3]، فانحدر علينا راع من جبل، فقال له ابن عمر: أراع؟ فقال: نعم. قال: بعني شاة من الغنم قال: إني مملوكٌ. قال: قل لسيدك أكلها الذئب. قال: فأين الله عز وجل؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعد فأعتقه[4].

إنفاقه على المستحقين

قال معن: كان ابن عمر إذا صنع طعاماً فمر به رجل له هيئة لم يدعه ودعاه بنوه أو بنو أخيه، وإذا مر إنسان مسكين دعاه ولم يدعوه، وقال: يدعون من لا يشتهيه ويَدَعون من يشتهيه[5].

---

(١) الحلية (١: ٢٩٧).
(٢) إحياء علوم الدين (١: ٢٢٧).
(٣) عرسنا: نزلنا من آخر الليل.
(٤) سير أعلام النبلاء (١: ١٤٤).
(٥) الطبقات (٤: ١٤٩).

وعن أبي جعفر القاري؛ قال: قال مولاي: اخرجْ مع ابن عمر اخدمه، قال: فكان كل ماء ينزله يدعو أهل ذلك الماء يأكلون معه. قال: فكان أكابر ولده يدخلون فيأكلون، فكان الرجل يأكل اللقمتين والثلاث. فنزل الجُحفة فجاؤوا وجاء غلام أسود عريان فدعاه ابن عمر. فقال الغلام: إني لا أجد موضعاً قد تراصوا، فرأيت ابن عمر تنحى حتى ألصقه إلى صدره[1].

وعن محمد بن قيس قال. كان ابن عمر لا يأكل إلا مع المساكين حتى أضرّ ذلك بجسمه، فصنعت له امرأته شيئاً من التمر، فكان إذا أكل سقته[2].

وعن أبي بكر بن حفص؛ أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعاماً إلا على خوانه يتيم[3].

وعن الحسن؛ أن ابن عمر كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده، وكانت له سويقة محلاة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء وبيده السويقة ليشربها، فناولها إياه وقال: خذها فما أراك غبنت[4].

---

(١) الحلية (١ : ٣٠٢).

(٢) الحلية (١ : ٢٩٨).

(٣و٤) الحلية (١ : ٢٩٩).

وظن الناس أن سبب هزاله إهمال زوجته له، فعاتبوها فيه وطلبوا منها أن تلطف به؛ فعن ميمون بن مهران؛ أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه، فقيل لها: أما تلطفين بهذا الشيخ؟ فقالت: فما أصنع به؟ لا نصنع له طعاماً إلا دعا إليه من يأكله. فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقه. ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان. وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه.

فقال ابن عمر: أردتم أن لا أتعشى الليلة. فلم يتعش تلك الليلة[١].

ويعرف اللائمون لامرأته أنه لا ذنب لها؛ فيتوجهون باللوم والعتاب له؛ فعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: لو أن طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجد له آكلاً. فدخل عليه ابن مطيع[٢] يعوده فرآه قد نحل جسمه، فقال لصفية ـ زوجته ـ ألا تلطفيه؟ لعله أن يرتد إليه جسمه، فتصنعي له طعاماً. قالت: إنا لنفعل ذلك ولكنه

---

(١) حلية الأولياء (١: ٢٩٨) والطبقات (٤: ١٦٦).

(٢) ابن مطيع: هو عبد الله بن مطيع بن الأسود القرشي العدوي من أولاد الصحابة، كان أمير المدينة عندما نقضت بيعة يزيد، وحضر معركة الحرة وفر فيها. قال الزبير: كان جلداً شجاعاً قتل مع ابن الزبير.

لا يدع أحداً من أهله ولا من يحضره إلا دعاه إليه، فكلِّمْه أنت في ذلك، فقال ابن مطيع: يا أبا عبد الرحمن، لو اتخذت طعاماً فرجع إليك جسمك. فقال: إنه ليأت عليّ ثماني سنين ما أشبع فيها شبعة واحدة ـ أو قال: لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة ـ فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظِمءُ حمار(١).

ورغم هذا السخاء والإيثار لم يغتر ولم يتكبر؛ وبقي الإنسان الخائف من الموت، الطامع في القبول؛ فعن هشام ابن يحيى الغساني، عن أبيه قال: جاء سائل إلى ابن عمر، فقال لابنه: أعطه ديناراً. فلما انصرف قال له ابنه: تقبل الله يا أبتاه. فقال: لو علمت أن الله يقبل مني سجدة واحدة وصدقة درهم لم يكن غائبٌ أحب إليّ من الموت، أتدري ممن يتقبل؟ إنما يتقبل الله من المتقين(٢).

(١) الحلية (١ : ٢٩٩). وصفة الصفوة (١ : ٥٤٧).
(٢) صفة الصفوة (١ : ٥٧٦).

تواضعه وحسن خلقه ﷺ

وإلى جانب ما اجتمع في شخصية ابن عمر من المعالم والفضائل؛ فإنه كان متواضعاً، ويخاف على نفسه الخيلاء والفخر، ويكره المديح ويذم المبالغة فيه، ولقد رأيناه وهو العالم المحدث يقول لرجل جاء يستفتيه: لا علم لي به. . . وبعد أن ذهب الرجل تهلل وجهه وهو يقول لنفسه: سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال: لا علم لي به[1]. وهذا حرص واضح على التواضع، ورأيناه يأكل مع المساكين ويتفقد الأيتام ليشاركوه طعامه ويؤثرهم به على نفسه، وكان يسرع في المشي ويقول هذا أبعد من الزهو وأسرع في الحاجة[2].

ولنصغ الآن إليه وهو ينكر المبالغة في المديح مهتدياً بسنة النبي ﷺ في ذلك؛ فعن نافع وغيره، أن رجلاً قال لابن عمر: يا ابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله أرجو الله تعالى

---

(١) الطبقات (٤: ١٤٤).

(٢) الزهد والرقائق (ص ٢٨٨).

وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه[1].

ولنرقبه وهو يبكي من تأثره بحديث سمعه عن النبي ﷺ في الترهيب من الكبر؛ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ على المروة فتحدثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي، فقال له رجل ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا ـ يعني عبد الله ابن عمرو ـ زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبَّه الله لوجهه في النار»[2].

والتحية والسلام في الإسلام مفتاح الود والمحبة، وإعلان عن التواضع وخفض الجناح، وكانت عادة ابن عمر الخروج إلى السوق ليسلم على الناس؛ قال ابن عمر: إني لأخرج وما لي حاجة إلا أن أسلم على الناس ويسلموا عليّ[3] ولكن أحداً لا يستطيع أن يسبقه بالسلام؛ فعن بشير بن يسار قال: ما كان أحد يبدأ أو يبدر ابن عمر بالسلام[4].

وكان البعض قد استغربوا غُدُوَّه إلى السوق لغير حاجة،

---

(١) حلية الأولياء (١: ٣٠٧) والإصابة (٢: ٣٤٠).

(٢) حياة الصحابة (٣: ٦٥٨) وقال: أخرجه أحمد، ورواته رواة الصحيح.

(٣) سير النبلاء (٣: ١٤٧).

(٤) الطبقات (٤: ١٥٢).

فأوضح لهم أن غرضه الوحيد هو السلام، وهذا ما حدث للطفيل بن أبيّ بن كعب الذي كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا لم يمرر عبد الله بن عمر على سقّاط[1] ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا وسلم عليه، فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟ قال: وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث. فقال لي عبد الله: يا أبا بطن ـ وكان الطفيل ذا بطن ـ إنما نغدو من أجل السلام، فسلم على من لقيت[2].

وعن عبد الله بن عطاء؛ أن ابن عمر كان لا يمر على أحد إلا سلم عليه، فمر بزنجي فسلم عليه فلم يرد عليه، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، إنه زنجي طمطانيّ، قال: وما طمطانيّ؟ قالوا: أخرج من السفن الآن، قال: إني أخرج من بيتي ما أخرج إلا لأسلم أو ليسلّم عليّ[3].

ومن الوفاء أن يلتزم ابن عمر بالسلام على أحبائه من الأموات أيضاً، فكان يسلم على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ في قبورهم، قال نافع: كان عبد الله بن عمر إذا قدم من سفر بدأ بقبر النبي ﷺ وأبي

---

(١) السقاط: الذي يبيع السقط من المتاع.

(٢) الحلية (١ : ٣١١).

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٦).

بكر وعمر فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[1].

وعن نافع قال: كان عبد الله بن عمر إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، ثم أتى القبر فسلم عليه[2].

وكان من حسن أخلاقه أنه لا يسبّ ولا يلعن أحداً، وهكذا المؤمن ليس بطعّانٍ ولا لعّانٍ ولا فاحش ولا بذيء، كما أخبر النبي ﷺ؛ قال سالم: ما لعن ابن عمر رضي الله عنهما قط خادماً، إلا واحداً فأعتقه[3].

وقال الزهري: أراد ابن عمر أن يلعن خادمه فقال: اللهم العَ، فلم يتمها، وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها[4].

وقال زيد بن أسلم: جعل رجلٌ يسبُّ ابن عمر وابن عمر ساكت، فلما بلغ باب داره التفت إليه، فقال إني وأخي عاصماً لا نسبُّ الناس[5].

وأخلاق الانسان تُمتحن في السفر وتظهر على حقيقتها، ولنسمع رفاق ابن عمر في أسفاره يصفون لنا حسن معاملته وضيافتـه، وخدمته لأصحابه؛ قال مجاهد: صحبت ابن عمر

(١و٢) الطبقات (٤ : ١٥٦).

(٣و٤) حلية الأولياء (١ : ٣٠٧).

(٥) الإصابة (٢ : ٣٤٠).

وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني أكثر[1].

وقال: كنت أسافر مع عبد الله بن عمر فلم يكن يطيق شيئاً من العمل إلا عمله لا يكله إلينا، ولقد رأيته يطأ على ذراع ناقتي حتى أركبها[2].

وكان إذا قدم مكة نزل على آل عبد الله بن خالد بن أسيد ثلاثاً في قراهم، ثم يرسل إلى السوق فيشتري له حوائجه[3].

والوفاء بالوعد من الدين، بل هو الدين نفسه، ولم يفت ابن عمر أن يحرص على الوفاء بالوعد وحتى على شبه الوعد، ولنسمعه يؤكد ذلك وهو يحتضر فيقول:

إنه كان خطب إليَّ ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبه الوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق[4]، أشهدكم أني قد زوجته ابنتي[5].

---

(١) صفة الصفوة (١ : ٥٧٦).

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٤).

(٣) الطبقات (٤ : ١٥٨).

(٤) يشير ابن عمر إلى حديث رسول الله ﷺ في البخاري ومسلم: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

(٥) إحياء علوم الدين (٣: ١٢٩).

والتعامل المادي مع الناس يكشف عن جوهر الإنسان وعن خبيئة نفسه وأصالة أخلاقه؛ فلنر ابن عمر في هذا المضمار، قال عطاء مولى ابن سباع: أقرضت ابن عمر ألفي درهم فبعث إلي بألفي درهم واف، فوزنتها فإذا هي تزيد مائتي درهم، فقلت: ما أرى ابن عمر إلا يجربني فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنها تزيد مائتي درهم، قال: هي لك(١).

وعن مجاهد، أن ابن عمر كانت عليه دراهم فقضى أجود منها، فقال الذي قضاه: هذه خير من دراهمي، فقال: قد عرفت ولكن نفسي بذلك طيبة(٢).

وعن جبلة بن سحيم قال: رأيت ابن عمر اشترى قميصاً فلبسه، فأراد أن يرده، فأصاب القميص صفرة من لحيته، فأمسكه من أجل تلك الصفرة، ولم يرده(٣).

---

(١) الطبقات (٤ : ١٦٦).

(٢) الطبقات (٤ : ١٦٩).

(٣) الطبقات (٤ : ١٧٣).

فضـــائله

شهد الصحابة الكرام بفضائل عبد الله بن عمر، وثباته على الأمر الأول، لم يتبدل ولم يتغير بعد وقوع الفتن المظلمة والحوادث المفجعة، وبقي يهتدي بنور الوحي ونور أصحابه الذين سبقوه.

قال ابن مسعود: «لقد رأيتنا ونحن متوافرون وما فينا شاب هو أملك لنفسه من ابن عمر»[١].

وقال حذيفة: «ما منا أحد يفتش إلا يفتش عن جائفة[٢] أو منقلة[٣] إلا عمر وابنه»[٤].

وقالت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر»[٥].

---

(١) سير النبلاء (٣: ١٣٩).

(٢و٣) «الجائفة»: الطعنة التي تصل إلى الجوف. و«المنقلة» من الجراح: ما ينقل العظم عن موضعه. وأراد حذيفة رضي الله عنه، ليس منا أحد إلا وفيه عيب عظيم فاستعار الجائفة والمنقلة لذلك، عن النهاية في غريب الحديث.

(٤و٥) سير النبلاء (٣: ١٤٠).

وسجلت الطبقة العليا من علماء التابعين في مكة والمدينة إعجابها الكبير بشيخها ومحدثها العالم الزاهد في بطون الكتب وعلى صفحات القلوب، وتناقلت حلقات العلم فضائل ابن عمر ومآثرة العظيمة، فهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول: «لو شهدت لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لابن عمر»[1]، وقال: «كان ابن عمر يوم مات خير من بقي»[2]، وعن يحيى بن أبي إسحاق قال: سألت سعيد بن المسيب عن صوم يوم عرفة، فقال: كان ابن عمر لا يصمه. قال: قلت: هل غيره؟ قال: حسبك به شيخاً[3].

وهذا الإمام مالك يعلن عن إعجابه بفضائل ابن عمر فيقول: «قد أقام ابن عمر بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك».

وقال: «وكان ابن عمر من أئمة المسلمين»[4].

وقال: «قال لي أبو جعفر ـ أمير المؤمنين ـ: كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل؟ فقلت له: بقي يا أمير المؤمنين، وكان له فضل عند الناس، ووجدنا من تقدمنا أخذ

(١ و ٢) سير النبلاء (٣: ١٣٩).

(٣) الطبقات (٤: ١٥٨).

(٤) أسد الغابة (٣: ٣٤٢).

به فأخذنا به، قال: فخذ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس»[1].

وقال مالك: سمعت المشايخ يقولون: من أخذ بقول ابن عمر لم يدع من الاستقصاء شيئاً[2].

وقال: «كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبد الله ابن عمر، مكث ستين سنة يفتي الناس»[3].

وقال رجاء بن حيوة: «أتانا نعي ابن عمر ونحن في مجلس ابن محيريز، فقال ابن محيريز: والله إن كنت أعد بقاء ابن عمر أماناً لأهل الأرض»[4].

وقال مجاهد: «ترك الناس أن يقتدوا بابن عمر وهو شاب، فلما كبر اقتدوا به»[5].

وقال موسى بن طلحة: «يرحم الله عبد الله بن عمر ـ إمّا سماه وإما كناه ـ والله إني لأحسبه على عهد رسول الله ﷺ الذي عهده إليه لم يفتن بعده ولم يتغير، والله ما استغرته

---

(١) الطبقات (٤: ١٤٧).
(٢) الإصابة (٢: ٣٤٠).
(٣) سير النبلاء (٣: ١٤٨).
(٤) تهذيب التهذيب (٥: ٣٣٠).
(٥) الطبقات (٣: ١٣٧).

قريش في فتنتها الأولى»[١]. وشهدت وقائع التاريخ أن عبدالله ابن عمر، كان داعية للسلام والطاعة والتزام الجماعة، فما اشترك في فتنة، وما حمل السلاح في وجه مسلم، وبقي يصلي وراء كل أمير ويدفع له الزكاة؛ فعن زيد بن أسلم: أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله[٢]، ولذلك قال سفيان الثوري: «يُقتدى بعمر في الجماعة، وبابنه في الفرقة».

ومن الطريف أن أم ولد لعبد الملك بن مروان بعثت إلى وكيلها تستهديه غلاماً، وقالت: يكون عالماً بالسنة، قارئاً لكتاب الله، فصيحاً عفيفاً، كثير الحياء، قليل المراء، فكتب إليها: قد طلبت هذا الغلام فلم أجد غلاماً بهذه الصفة إلا عبد الله بن عمر، وقد ساومت به أهله فأبوا أن يبيعوه[٣].

ومن يتتبع كتب التراجم والرجال لينظر في مناقب عبد الله ابن عمر؛ فإنه يجد الكتّاب العلماء قد بدأوا ترجمته بعبارات بليغة تلخص فضائله الجمة وأعماله الحميدة خلال حياته المباركة، وها أنذا أسوق بعضاً من هذه البداءات:

قال أبو نعيم في كتابه «حلية الأولياء»:

---

(١) الطبقات (٣: ١٣٦).
(٢) الطبقات (٤: ١٤٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣: ١٤٨).

«ومنهم الزاهد في الإمرة والمراتب، الراغب في القربة والمناقب، المتعبد المتهجد، المتتبع للأثر المتشدد. نزيل الحصباء والمساجد، طويل الرغباء في المشاهد، يعد نفسه في الدنيا غريباً، ويرى كل ما هو آت قريباً، المستغفر التواب، عبد الله بن عمر بن الخطاب»(١).

وقال ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان»:

«كان عبد الله بن عمر من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه. وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله ﷺ، ثم كان بعد موته مولعاً بالحج قبل الفتنة وفي الفتنة إلى أن مات، ويقولون: إنه كان أعلم الصحابة بمناسك الحج»(٢).

وقال النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات»:

«عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما القرشي العدوي المدني الصحابي الزاهد. كان شديد الاتباع لآثار رسول الله ﷺ، ومناقبه كثيرة مشهورة، بل قلّ نظيره في المتابعة لرسول الله ﷺ في كل شيء من الأقوال والأفعال، وفي الزهادة في الدنيا ومقاصدها والتطلع إلى الرياسة

(١) حلية الأولياء (١: ٢٩٢).
(٢) وفيات الأعيان: (٢: ٢٣٤).

وغيرها. وكان ابن عمر كثير الصدقة. ولم يقاتل في الحروب التي جرت بين المسلمين»[1].

وقال الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي في كتابه «خلاصة تذهيب الكمال»: قال شمس الدين الذهبي: «كان إماماً متيناً، واسع العلم كثير الاتباع، وافر النسك كبير القدر، متين الديانة عظيم الحرمة، ذكر للخلافة يوم التحكيم وخوطب في ذلك فقال: على أن لا يجري فيها دم»[2].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١ : ٢٧٩).

(٢) خلاصة تذهيب الكمال (ص ٢٠٧).

خاتمة

وأحسبني الآن قد جليت حياة ابن عمر من ولادته إلى وفاته، ووفيت قدر إمكاني بما التزمت به من إظهار معالم شخصيته الفذة، وصحبته المبكرة، ورجولته الصالحة.

وقد رأينا أن علاقته بالإسلام ـ والتي بدأت وهو غليم لم يبلغ الحلم ـ هي التي جعلته يجد نفسه الزكية الطاهرة بعد أن أنار الإسلام جوانبها ونمّى فضائلها، ولفظ خبثها؛ فكان لها في التاريخ ذكرٌ وأثر، فأصبح عبد الله بن عمر علماً من أعلام الأمة الإسلامية الكبار في الجهاد والعلم والعبادة.

ولئن تعشق الإنسانُ العاقلُ العادل الرجولة مع الصلاح، والقوة في الجهاد، ووفرة المال مع الزهد، والعلم مع الورع، والتمسك بالحق مع الثبات والمثابرة؛ فإن هذه الصفات كانت حقائق ثابتة في حياة ابن عمر.

وإن محبتي له كانت تزيد مع كتابة كل سطر من هذا الكتاب، وأضحت تدفعني إلى المتابعة والاستمرار لإتمام هذا العمل، وعلمتني الصبر والجلد والاستفادة من الوقت،

والدأب على المطالعة، والتنقيب في الكتب؛ فرحم الله ابن عمر، وجزاه عنا خير الجزاء، وجمعنا وإياه تحت لواء سيدنا محمد ﷺ.

ومن المؤكد أننا لا نستطيع أن نوفي هذا الصحابي الجليل حقه علينا إلا إذا سلكنا طريقه واقتفينا أثره، وتشبهنا بفضائله؛ فنكون بذلك قد حققنا صدق القدوة برسولنا وقائدنا محمد بن عبد الله ﷺ: اللهم أعنا على ذلك، ووفقنا لكل خير، والحمد لله رب العالمين.

* * *
*

المـــراجع

١ ـ إحياء علوم الدين (مصر ـ ١٩٥٧ م)، الغزالي.
٢ ـ أخبار عمر (دار الفكر ـ دمشق ١٩٥٩ م)، علي وناجي الطنطاوي.
٣ ـ أسد الغابة (كتاب الشعب ١٩٧٠ م)، ابن الأثير (عز الدين).
٤ ـ الإصابة في تمييز الصحابة (طبعة السعادة بمصر)، ابن حجر.
٥ ـ الأعلام (الطبعة الثالثة)، الزركلي.
٦ ـ البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦ م)، ابن كثير.
٧ ـ التاج الجامع للأصول (الطبعة الرابعة)، منصور علي ناصيف.
٨ ـ تاريخ الخلفاء (مصر ١٩٦٩ م الطبعة الرابعة)، السيوطي.
٩ ـ تاريخ دمشق (مخطوط)، ابن عساكر.
١٠ ـ تاريخ الطبري (دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م)، ابن جرير الطبري.
١١ ـ التاريخ الإسلامي (مصر ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٦ م)، د. أحمد شلبي.
١٣ ـ تذكرة الحفاظ (طبعة هندية)، الذهبي.
١٣ ـ الترغيب والترهيب (الطبعة الثانية ١٩٦٨ م)، المنذري.
١٤ ـ تهذيب الأسماء واللغات (المطبعة المنيرية بمصر)، النووي.

١٥ ـ تهذيب التهذيب (طبعة هندية)، ابن حجر.
١٦ ـ تيسير الوصول (مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٤ م)، ابن الديبع الشيباني.
١٧ ـ جامع الأصول (دمشق ١٩٦٩ م)، ابن الأثير الجزري (مجد الدين).
١٨ ـ حياة الصحابة (دمشق ـ دار القلم ١٩٦٨)، محمد يوسف الكاندهلوي.
١٩ ـ حلية الأولياء (طبعة السعادة بمصر)، أبو نعيم الأصفهاني.
٢٠ ـ خلاصة تذهيب الكمال (حلب ١٩٧١ م)، الخزرجي.
٢١ ـ دراسات إسلامية (الطبعة الخامسة ١٩٧١ م)، سيد قطب.
٢٢ ـ زاد المعاد (مصر ـ ١٣٧٩ هـ)، ابن قيم الجوزية.
٢٣ ـ الزهد والرقائق (طبعة هندية)، عبد الله بن المبارك.
٢٤ ـ رجال حول الرسول (مصر ١٩٦٤ م)، خالد محمد خالد.
٢٥ ـ رياض الصالحين، النووي.
٢٦ ـ الرياض النضرة (مصر ١٩٥٣ م)، المحب الطبري.
٢٧ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب (على هامش الإصابة)، ابن عبد البر.
٢٨ ـ سنن الترمذي (حمص ١٩٦٥ م)، الترمذي.
٢٩ ـ سنن أبي داود، أبو داود.
٣٠ ـ السنة قبل التدوين (مكتبة وهبة بمصر)، د. محمد عجاج الخطيب.
٣١ ـ سير أعلام النبلاء (دار المعارف بمصر)، الذهبي.
٣٢ ـ سيرة ابن هشام (الطبعة الثانية ١٩٥٥ م)، ابن هشام.

٣٣ ـ سيرة عمر بن الخطاب (القاهرة ١٩٢٩ م)، ابن الجوزي.
٣٤ ـ شرح صحيح مسلم (طبعة دار الشعب)، النووي.
٣٥ ـ الشفاء (دمشق ١٣٩٢ هـ)، القاضي عياض.
٣٦ ـ صحيح البخاري، البخاري.
٣٧ ـ صحيح مسلم، مسلم.
٣٨ ـ صفة الصفوة (حلب ١٩٦٩ م)، ابن الجوزي.
٣٩ ـ صور من حياة الرسول (دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م)، أمين دويدار.
٤٠ ـ الطبقات الكبرى (بيروت ١٩٦٠)، ابن سعد.
٤١ ـ العواصم من القواصم (مصر ١٣٧١ هـ)، أبو بكر بن العربي.
٤٢ ـ فتح الباري بشرح البخاري (الباب الحلبي بمصر)، ابن حجر.
٤٣ ـ في ظلال القرآن (بيروت الطبعة الرابعة)، سيد قطب.
٤٤ ـ مباحث في علوم القرآن (الطبعة الرابعة ١٩٦٥ م)، د. صبحي الصالح.
٤٥ ـ مرآة الجنان، اليافعي.
٤٦ ـ المسند (المكتب الإسلامي بيروت)، أحمد بن حنبل.
٤٧ ـ المعارف (بيروت ـ ١٩٧٠ م)، ابن قتيبة.
٤٨ ـ معالم في الطريق (مصر ١٩٦٨ م)، سيد قطب.
٤٩ ـ منهج التربية الإسلامية (الطبعة الثانية)، محمد قطب.
٥٠ ـ نحن والحضارة الغربية (دار الفكر بدمشق)، المودودي.
٥١ ـ نسب قريش (دار المعارف بمصر)، مصعب الزبيري.
٥٢ ـ النهاية في غريب الحديث (الطبعة الأولى ١٩٦٨ م)، ابن الأثير (مجد الدين).

٥٣ ـ الموطأ (طبعة دار الشعب)، الإمام مالك.
٥٤ ـ وفيات الأعيان (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مصر)، ابن خلكان.

* * *

الفهرس

المقدمة ٧

معالم حياته

طفولته ونشأته ١٥
اسمه وكنيته ١٧
نسبه ١٨
أبوه ١٩
أمه ٢٠
مولده ـ نشأته ٢١
مع الرسول ﷺ ٢٥
إسلامه ٢٧
هجرته ٣٠
صحبته ٣٤
مشاهده ٤١
مع الخلفاء الراشدين ٥٧
عبد الله وأبو بكر ٥٩
عبد الله وأبوه عمر ٦٦

عبد الله وعثمان ٧٨
عبد الله وعلي ٨٤
في حكم بني أمية ٩١
حضور ابن عمر مجلسي التحكيم والصلح ٩٥
إلى الجهاد من جديد ٩٨
عقد البيعة ليزيد بن معاوية ٩٨
وفاء ابن عمر لبيعة يزيد ١٠٠
نصيحته للحسين بن علي ١٠٢
خلافة عبد الله بن الزبير ١٠٣
الإصرار على العزلة والحياد ١٠٤
بيعة ابن عمر لعبد الملك ١٠٧
ابن عمر والحجاج ١٠٨
منارة اتفاق وسلام ١١١
وفاته ١١٣
حليته ولباسه ١١٧
أسرته ١٢١

معالم شخصيته

أسوته برسول الله ﷺ ١٣٣
علمه ١٣٨
جهاده ١٥٩
عبادته ١٦٣

خوفه من الله ١٧٩
زهده وورعه ١٨٢
جوده وكرمه ١٩٣
تواضعه وحسن خلقه ٢٠٣
فضائله ٢٠٩
خاتمة ٢١٥
المراجع ٢١٧